الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

كليّة الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات اللّغويّة

تخصّص لسانيّات عربيّة

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

الموسومة بـ:

سياق المقام وأثره الجمالي في قصيدة "فاشهدوا" لمفدي زكريّا
- مقاربة لسانيّة نصّيّة -

إعداد الطالبة:

فاطمة الزّهراء بلاش

إشراف الدّكتورة:

نور الدّين دحماني

السنة الجامعية:

1439هـ-1438/ 2018-2017م

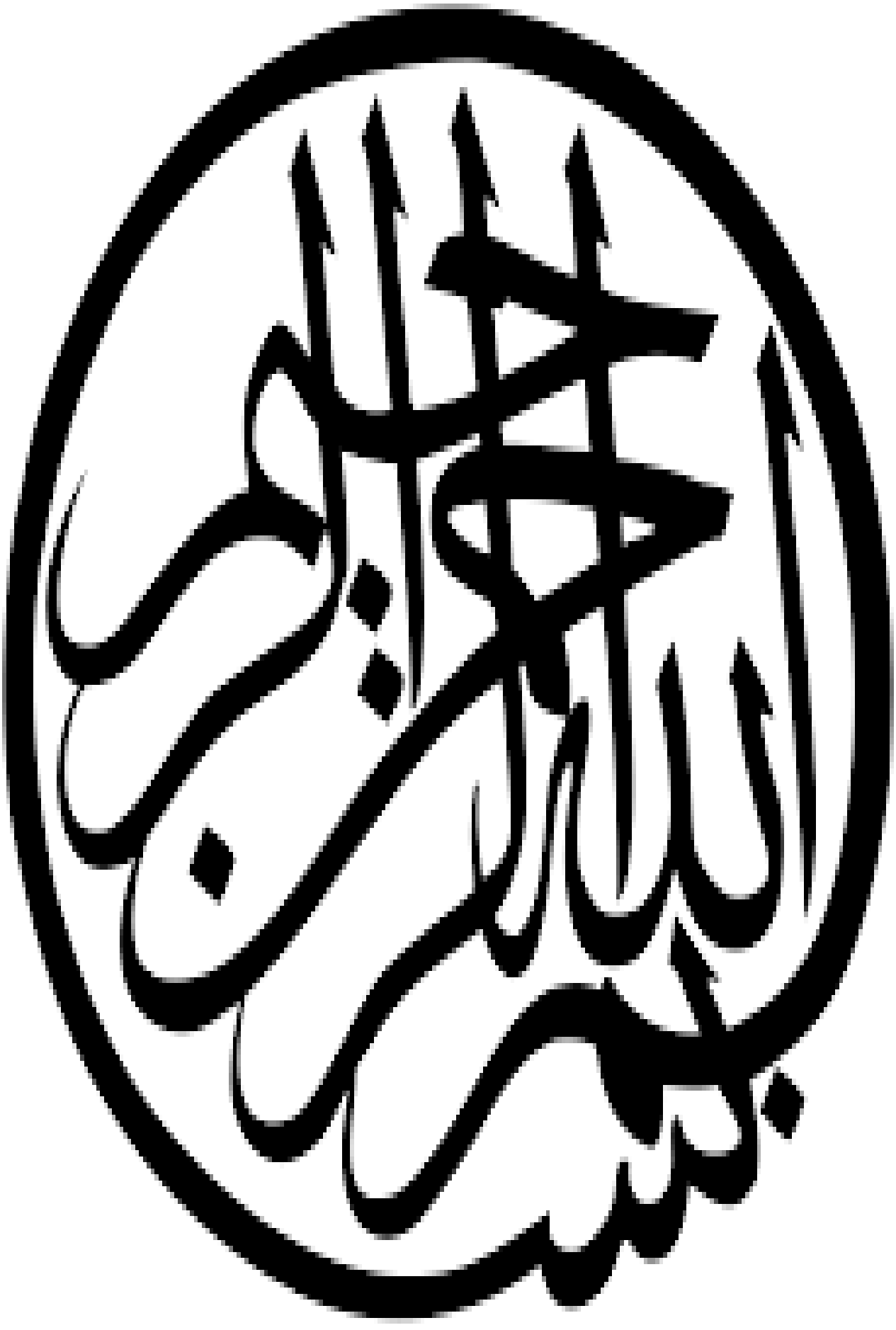

مقدّمة

الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن، وخصّصنا بأشرف لسان، والصلاة والسلام على خير من نطق بالبرهان نبينا محمد، وعلى آله وصحبه الأمجاد، وبعد:

لقد أسهمت اللّسانيات مساهمة جادة في دراسة اللغات البشرية، وبات لها الفضل الكبير في إثراء الدّرس اللّغوي الحديث موضوعا ومنهجا على حدّ سواء.

ولعلّ من أهم الثمرات التي أنتجتها اللسانيات النّصية، هي نظرية السياق، والتي تعدّ بحقّ من أهم محاور علم الدّلالة، حيث جعلت منها نظرية ومنهجا متكاملا في دراسة المعنى.

وقد بات من المرّجح في نظرية السياق، أن العناصر التي تشكّل المعنى النّصي تتمثل في معطيات لغوية وأخرى خارجة عن التشكيل اللّغوي، وهذا ما يبرز أهمية إتباع هذا المنهج لدراسة المعنى، لأن الاكتفاء بظاهر النّص يعتبر غالبا سببا في قصور الفهم.

ومادام أن مراعاة هذه الاعتبارات، اللّغوية وغير اللّغوية، تمثل الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى، وددت الوقوف على مدى اعتبار السياق غير اللّغوي في بناء القصيدة الشعرية الثورية.

ومن هنا جاءت هذه الدّراسة لتسلط الضوء على أثر عناصر السياق الداخلي والخارجي في البنية الجمالية للقصيدة الشعرية الجزائرية.

وقد خصّصت الدّراسة في جانبها التطبيقي على قصيدة (فاشهدوا) لمفدي زكريا- شاعر الثورة الجزائرية المجيدة-

ومما دفعني إلى البحث في هذا الموضوع أن حقل لسانيات النّص هو حقل خصب ومجال حديث للبحث والتقصّي أكثر في علم اللّغة أو اللّسانيات.

ومحاولة الوقوف على تطبيقات عملية لمسائل نظرية، من خلال مسألة السياق بنوعيه وإبراز أثره الجمالي في الشعر الذي اعتُبر ولا يزال ديوان العرب، وخاصّة الشعر الثوري الجزائري.

-اختيار لنموذج التطبيق لم يكن محض صدفة، وإنّما كان نابعا من روح وطنية ثائرة، لطالما رغبت في دراسة النشيد الوطني من جميع نواحيه وسياقاته المختلفة.

ويُتطلّع من خلال القيام بهذه الدّراسة، الإجابة عن الإشكالية الآتية:

- ما مدى تجلي النظرية السياقية في القصيدة الشعرية الثورية؟

- وبأي منهج يمكن دراسة هذه النظرية انطلاقا من المقاربة اللّسانية النّصية الحديثة؟

فهذا البحث محاولة قراءة الشعر- في ضوء أنساق معرفية متعدّدة أهمّها لسانيات النّص بغرض تأصيل الأطروحات اللّغوية المعاصرة.

وعلى ضوء ما سبق ذكره، انتهجت للبحثُ- موضوع الدّراسة- خطّة مكونة من مدخل مفاهيمي وفصلين أساسيين، مبدوءة بتمهيد ومقفاة بخاتمة.

فكان مدخل حول مقتضى الحال في التراث العربي حيث قسمته إلى مبحثين تناولت في الأوّل مفهوم مُقتضى الحال، ثمّ المبحث الثاني الذي خصّصته لمقتضى الحال في التراث العربي والإسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غاية النقاد والبلاغيين العرب.

والفصل الأول في هذه الدّراسة عنونته **"بالسياق ونظرياته العربية"**

فكان صدره عبارة عن تمهيد للنظرية السياقية الحديثة، أمّا صلبه فقد قسّمته إلى أربعة مباحث، ففي المبحث الأول تناولت التعريف اللّغوي والاصطلاحي للسياق، وفي المبحث الثاني تناولت أهمية السياق لدى القدماء والمحدثين، والمبحث الثالث خصّصته لمستويات السياق وأنواعه، أمّا المبحث الرابع والأخير فقد تناولت فيه بالدّراسة سياق المقام في الدّرس الغربي وموازنته بالدّرس العربي.

أمّا الفصل الثاني فعنونتُه بـ: **"تحليل قصيدة" فاشهدوا"** لشاعر الثورة مفدي زكريا، وفق مقاربة لسانية نصّية افتتحته بتمهيد عن آليات السياق وثلاثة مباحث، كان الأوّل حول تصنيف عناصر السياق وآلياته في قصيدة " فاشهدوا"

أمّا المبحث الثاني فقد خصّصته للسياق اللّغوي حيث قمت بالتحليل اللّغوي اللّساني لوحدات القصيدة انطلاقا من بنيتها السطحية.

والمبحث الثالث والأخير كان محور البحث ونتاجه، تناولت فيه السياق غير اللّغوي وأثر عناصره في القصيدة.

وانتهى البحث بخاتمة حول أهم النتائج المتوصل إليها.

هذا وقد اقتضى نوع الدراسة إتباع المنهج اللّساني الذي يعتمد على إجراءي الوصف والتحليل حيث قمت بوصف عناصر النظرية السياقية اللّسانية وتحليل القصيدة في ضوئها اللغوي والمقامي، وقد اعتمدت على كتب لغوية قديمة وحديثة من أجل تقصي وتأصيل السياق في الدّرسين العربي والغربي (كالخصائص) **لابن جنّي** و(الكتاب) **لسيبويه**

و(اللّغة العربية معناها ومبناها) **لتمام حسّان**، و(دراسات في علم اللّغة) **لكمال بشر**، غير أنّ أهم ما جعل الموضوع يتجلى، تلكم البحوث التي تناولت السياق وتطبيقاته على الشعر والنثر كـ(السياق غير اللّغوي وأثره في توجيه المعنى) **"لصالح هزلة"**، و(توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين)ل **"زعطوط حسن"**.

كما رجعت إلى أمّهات الكتب في بعض جوانب البحث كالدّراسات الأصولية وبعض التفاسير وغيرها.

ولم يخلُ البحث هذا من الصعوبات التي استطعت تجاوزها نسبيا كصعوبة استنطاق دلالات النّصّ وكذا صعوبة كثرة وتعدّد المراجع اللّغويّة للمادة بمناهج مختلفة مما استدعى تقصيها واختيار ما يناسب البحث منها وكذا المراجع التّاريخية ومعلوماتها المختلفة من مرجع لآخر حول الخلفية التاريخية للنّص التي لعبت دور البطولة في دراسة المقامية والسياق الخارجي لهذه القصيدة .

ولهذا تمّ بذل الجهد-قدر المستطاع- تأصيلا وتحليلا، عسى أن نوفي الموضوع حقّه ويؤتى عملنا أُكله.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتوجّه بأسمى معاني الشكر إلى الأستاذ المشرف **الدكتور "نور الدين دحماني"** عرفانا على ما بذله من حسن الإشراف وخالص النصح والتوجيه والنقد البنّاء، ونسأل الله السّداد والتوفيق.

توطئة:

الحدث اللغوي ظاهرة تكتنفها ظروف وملابسات لاعتبارات غير لغوية تخضع لها اللغة في حدّ ذاتها.ولعلّ أهم هذه الظروف هو "المقام" أو "مقتضى الحال"، حيث تكمن أهميته في توجيه معاني الألفاظ والتراكيب.فعلماء اللغة القدماء منهم والمحدثين يرون أن المميزات غير الكلامية للوحدة اللغوية مهمة في تحديد معناها تماما كأهمية معنى الكلمة والمعنى النحوي ويدخل كلاهما في المكون الكلامي، لأن المعاني المعجمة لا تمكننا من إدراك معنى الكلام أو النّص وحدها، إنّما يعتبر "مقتضى الحال" موجها حاسما لمدلول المقال في النهاية فـ "لكل مقام مقال": المقال هو المنطلق الأساسي في توجيه المقال من حيث درجته ومستوى لغته، حسب المستوى الذي يقتضيه ملتقى الخطاب.

يعتبر السياق من القرائن الكبرى التي يستند عليها التحليل الدلالي النّصي، والسياق ينقسم إلى نوعين :

أ-لغوي:يهتم بالسباق واللّحاق.

ب-مقامي:يراعي ملابسات الكلام:أطلق عليه العلماء قديما وحديثا مصطلحات عديدة، لعل أقدمها هو:**مقتضى الحال.**

أ/ تعريف مقتضى الحال :

لغة:

المقتضى: اسم مفعول من اقتضى، المشتق من (قضى) التي تحمل عدة معان منها:

- **القطع:**قالالزجّاج:"قضى في اللغة على ضروب، كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء"[1].
- **إحكام الأمر وإنفاذه:**قال ابن فارس:"القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه"[2].
- **الحكموالفصل:**ومنه قوله تعالى:"وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه....."[3].
- **قال الجوهري:**"قضى أي حكم"[4].

أما "الحال فهي اسم يدل على الأوصاف أو الكيفيات المتغيرة أو القابلة للتغير في الشيء الذي تضاف إليه، وحال الإنسان ما يختصّ به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية"[5].

1-الزجّاج:أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ش/تح:عبد الجليل شلبي، ج2، عالم الكتاب، ط1، 1988، ص 230.

2-ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام هارون،ج5، مطبعة الباي الحلبي، ط2، مصر، 1972، ص99.

3-القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 23، رواية ورش.

4-علي الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تج: عبد الغفور عطار، ج6،دار العلم للملايين، ط2،لبنان، 1979، ص 463 .

5- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ج1، ط4، 2004، ص 216.

اصطلاحا:

"مقتضى الحال" مصطلح مكون من مركب إضافي يعرف بأنّه:"الاختبار المعين الذي يستدعي مجيء الكلام على صفة مخصوصة مناسبة للحال، كالتأكيد في حال الإنكار أو التردد مثلا"[1].

وقد عرّفه "بدوي طبانة" بقوله:".....ويسمى الاعتبار المناسب وهو الصورة المخصوصة التي ترد عليها العبارة، مثلا المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى"[2].

فطبانة هنا يورد الحال على انّه الأمر الداعي للمتكلم إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المراد خصوصية ما، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال.

أمّا أحمد مصطفى المراعي فيعرّفه بأنّه:"صورة خاصة ترد في الكلام زائدة على أصل معناه قد اقتضاها الحال واستدعاها المقام"[3].

أي أن الحال هي ما يقتضيه مقام الكلام سواء كان مطابقا لظاهره أو مخالفا له إنّما يستدعيه حال المتكلم أو السامعين...

وبرجوعنا إلى "قاموس اللّسانيات" لـ"جان ديبوا"(Jon Di Bois) فنجد أنّه يشير إلى أنّه:"مجموعة الظروف الاجتماعية الممكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي...

وأحيانا يسمى بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، ونقول أيضا "السياق المقامي" أو "سياق المقام"، وهو المعطيات التي يشترك فيها المرسل والمستقبل حول المقام الثقافي والنفسي، والتجارب المشتركة بينهما والمعارف الخاصة بكل منهما"[4].

ويحاول أن يفرق بينه وبين مقتضى الحال بقوله:

1-أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج3،المجمع العلمي العراقي، 1987، ص243.
2- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، السعودية، ط3، ص 548.
3 -أحمد مصطفة المراعي، علوم البلاغة، دار إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1992، ص36.
4- Jon Di Bois et autres-Dictionnaire de l'linguistique –Paris,1989,p120.

"إنّ مجموع الأشخاص المشاركين في المقال إيجابيا أو سلبا ثم العلاقات الاجتماعية والظروف المختلفة في نطاق الزمان والمكان هو ما أسميه (المقام) وهو بهذا المعنى يختلف بعض الاختلاف عن فهم الأولين الذين رأوه حالا ثابتة، ثمّ جعلوا البلاغة مراعاة مقتضى الحال"[1].

ويتفق **"تمّام حسان"**مع **" ابن يعقوب المغربي"** بضرورة التفريق بين المصطلحين إذ يقول:"ويختلفان (الحال والمقام) في الاستعمال، فالمقام يستعمل مضاف للمقتضيات فيقال مقام التأكيد مثلا، والحال يستعمل كثيرا مضافا للمقتضى فيقال حال الإنكار، فإذا توهم في سبب ورود الكلام بخصوصية ما كونه زمانا لذلك الكلام سمي حالا لتحول الزمان بسرعة، وإذا توهم فيه كونه محلا له سمي مقاما"[2].

أي المتكلم يؤدي الكلام بسمات معينة مناسبة للمقام أو الحال الذي يلقى فيه ذلك الكلام.

سياق الحال:Context of situation

مصطلح شهير صاغه مالينوفسكي وهو "يتمثل في الظروف الاجتماعية والبيئة النفسية والثقافية للمتكلمين أو المشتركين في الكلام"[3].

فسياق الحال إذن يهتم بدراسة المحيط الذي يقع فيه الكلام ويشمل "الظروف المحيطة بالحدث الكلامي لسياق الموقف،(العصر)نوع القول وصفته، اللغة أو اللهجة المستعملة، المتكلم أو الكاتب، المستمع أو القارئ، والعلاقة بين المرسل والمتلقي من حيث الثقافة والجنس والعمر والألفة والطبقة الاجتماعية وظروف الجو وإيماءات أو أي إشارات عضوية"[4].

وهذا ما جعل بعض الباحثين يجعلون مفهوم "المقام" لدى قدماء البلاغيين يقابل "سياق الحال" في الدارس اللّسانية الحديثة يقول:**"تمام حسان"**...أجد لفظ المقام أصلح ما أعبر عما أفهمه من المصطلح الحديث"سياق الحال" الذي يستعمله اللّسانيون المحدثون"[5].

1-تمام حسان، المرجع السابق، ص 351.
2-ابن يعقوب المغربي، أحمد بن محمد، مواهب الفتاح، تح:خليل إبراهيم، ج1،بيروت، ص 125.
3- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص.135
4-محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، د.ط، ص339.
5- تمام حسن، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط3، 1998، ص 339

فسياق الحال يقتضي مراعاة المتكلم لحال السامعين وثقافتهم يوازن بين ما يقوله وبين ثقافة السامع أو المخاطب وكذلك يتطلب سياق الحال موازنة بين الموقع الاجتماعي للمتحدث وأثره في اختيار اللغة أو الأسلوب.

القرائن الحالية:

أشار الأصوليون إلى هذا المصطلح، وأطلقوا عليه أيضا "قرائن الأحوال"، ويعرّفه **الشاطبي** بقوله:"معرفة مقاصد الكلام إنّما مدارة معرفة مقتضيات الأحوال، حال خطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك"[1].

فالقرينة الحالية هي النظر إلى الأحوال والملابسات التي اختفت بالمتكلم الذي صدر عنه الخطاب، أو المخاطب الذي توجّه إليه الخطاب، أو البيئة والظروف التي احتفت بالخطاب نفسه، أو النظر إلى هذه الأمور مجتمعة.

شاهد الحال:

هذا المصطلح استعمله **ابن جنيّ** في كتابه "الخصائص" في باب مراتب الأشياء وتنزيلها تقديرا أو حكما لازما ووقتا.

وهذا يقول ابن جنيّ:"ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، نحو قولك إذا رأيت قادما" خير مقدم"أي: قدمة خير مقدم، فنابة الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب"[2]

لقد تنبه **ابن جنيّ** إلى أهمية معرفة مقتضى الحال، في تحديد المعاني فلا يكتفي بتحديد المعنى في العديد من الأحوال بالسماع فقط، بل ينبغي أن يحيط السامع بالظروف التي تحيط بالكلام ....المشاهدة والحضور.

دلالة الحال:

قال الإمام **ابن تيمية** متحدثا عن لفظ الإشارة:"...فلابد من دلالة حالية أو لفظية تبيين أن المشار إليه غير لفظ الإشارة، فتلك الدلالة لا يحصل المقصود إلاّ بها وبلفظ الإشارة،

[1]- خالد عبد الرحمان العكك، أصول التفسير وقواعده، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986، ص102.
2- عبده الرّاجحي، فقه اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.ط، ص167

كما أن لام التعريف لا يحصل المقصود إلاّ بها وبالمعهود"[1]

"ويسمى هذا لسان الحال ودلالة الحال ومنه قولهم: سل الأرض من فجر أنهارك وسقى ثمارك وغرس أشجارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا..."[2]، وهذا ما يطلق عليه الجاحظ بدلالة النّصبة.

القرينة الحالية:

مصطلح القرينة هو:"أمر يشير إلى المطلوب، وهي إمّا حالية أو معنوية، أو لفظية"3

ويميز الأصوليون بين ثلاثة أنواع من القرائن هي:

1/القرينة اللّفظية.

2/القرينة العقلية

3/ القرينة الحالية

تنوعت العبارات التي وضحت المقصود بالقرينة الحالية، فقد عرّفها **الغزالي** بأنّها:" إشارات ورموز وسوابق ولواحق، لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها"[3].

فالقرينة الحالية تتضمن حال المتكلم، وشؤونه، وأي عمل أو إشارة يقوم بها، والمقال الذي يقال فيه الكلام.

سياق الموقف:

لاشك أن "الكلام الحيّ لا ينفصل عن الموقف الذي يكون فيه، وما يلابس ذلك من حركات باليد وتعبير الوجه..."[4]، فالموقف الذي يكون فيه المتكلم هو الذي يعيّن الدّلالةفموقف المدح غير موقف الذّم.

1- ابن تيمية، مجموع فتاوى، ج20، دار الوفاء للطباعة، ط3، 2005، ص495

2- المرجع نفسه، ص405

3-الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت 1405ه، ص223.

3-الواحدي، أبو الحسن، أسباب النزول، ج2، عالم الكتب، بيروت، ط1، ص4.

4-محمد حماسة عبد اللّطيف، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ط1، 1994، ص293.

النّصبة:

المصطلح أشار إليه**"الجاحظ"** وعرّفه بأنّه:"الحال الناطقة بغير اللّفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كلّ صامة وناطق وجامد، ومقيم وظاعن وزائد وناقص فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان ولذلك قال الأوّل سل الأرض فقل من أجرى أنهارك وغرس أشجارك وجني ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا... ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا وأشار إليه وإن كان ساكتا"[1].

ومعناها يدل على ما أشارات إليه العرب بقولها:"ربّ إشارة أبلغ من عبارة"[2].

فالنّصبة هي"الوضعية التي تكون عليها الأجسام، والتي بفضلها يتوصل الإنسان إلى استخراج المعنى الذي يكون فيها، فهذه الوضعية أو هذه الحال للأجسام هي التي تقوم مقام أدوات التعبير الأخرى كاللّفظ والإشارة وغيرها"[3].

ط-مقتضى النّص:[4]

هو الذي لم يدل اللّفظ عليه، ولا يكون ملفوظان ولكن يكون من ضرورة اللّفظ أهم من أن يكون شرعيا أو عقليا، وقيل: هو عبارة عن جمل غير المنطوق منطوقا لتصحيح المنطوق، مثاله: قوله تعالى:"فتحرير رقبة"[5].

هو مقتضى شرعا لكونها مملوكة، إذ لا عتق فيما لا يملكه ابن آدم، فيزاد عليه ليكون تقدير الكلام:فتحرير رقبة مملوكة.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه المصطلحات تعدّ نزرا يسيرا بما أشار إليه العلماء-قديما وحديثا- في مؤلفاتهم.

1-الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1،القاهرة، ص57.

2-ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط4، ج1، 1990، ص247.

3- محمد الصغير بنّاني، النّظريات اللّسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ-من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

4-محمود حامد عثمان، القاموس المبين في اصطلاحات الأوصوليين، ط1، 2002، ص283-بتصرف-

5-القرآن الكريم، سورة النّساء، الآية 92.

فكل هذه المرادفات لمقتضى الحال المختلفة حسب مصادرها(عن لغويين أو بلاغيين وأصوليين) تلتقي في مفهوم الغرض ومقصود المتكلم، كما ترتبط بالظروف والمواقف والأحداث التي يرد فيها النّص.

ب/ مقتضى الحال في التراث العربي والإسلامي:

1- مقتضى الحال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة:

للرّسول صلى الله عليه وسلم وصحابته عناية ظاهرة بمعرفة أحوال المخاطبين ومن الحكمة تنزيل النّاس منازلهم اللاّئقة بهم، ومخاطبتهم بما يناسبهم فإن ذلك أدعى إلى قبول الدّين، والرغبة في إتباعه، ولا يكون ذلك إلاّ بمعرفة أحوالهم.

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح النّاس، وهو الذي أوتي جوامع الكلم، إليه ينسب القول:"أنا أفصح العرب بَيْدَ أنّي من قريش"[1].

فقد كان مراعيا للحال ولأحوال المخاطبين على وجه الخصوص-من الطّبيعي-فهو يتعامل مع أناس مختلفي الأحوال، من حيث الدّين والجنس والعمر ومن حيث البيئة، والوجاهة والمنزلة، وغير ذلك من الأحوال التي سيكون لها أثر في تعبيره واختيار أساليبه، فهو الحريص على هداية الخلق والتأثير فيهم، وذلك امتثالا لقوله تعالى:"ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن"[2].

أ-اختلاف الأجوبة عن أسئلة الصحابة عن أفضل الأعمال:

كان يسأل السؤال الواحد أكثر من شخص فتختلف أجوبة النبي صلى الله عليه وسلم على حسب اختلاف أحوال السائلين، ومثال ذلك:حديث**أبي هريرة** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل:"أيّ العمل أحبّ إلى الله؟ قال:"إيمان بالله ورسوله" قيل: ثمّ ماذا؟ قال:"الجهاد في سبيل الله" قيل ثم ماذا؟ قال:"حج مبرور"[3].

وفي حديث **ابن مسعود**-رضي الله عنه-قال:سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحبّ إلى الله؟ قال:"الصلاة على وقتها"، قال:"ثمّ أي" قال:"ثمّ بر الوالدين"، قال: ثم أي؟ قال:"الجهاد في سبيل الله"[4].

1-ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،دار عالم الكتب، د ط، ص408.

2- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 125.

3- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصرج2، دار ابن كثير، بيروت، ط3، ص553.

4-البخاري، المرجع السابق، ج1، ص121.

وفي حديث **أبي أمامة**-رضي الله عنه-أنّه سأل رسول الله:أي العمل أفضل؟ قال:"عليك بالصوم فإنّه لا عدل فيه"[1].

فالجمع بين هذه الأحاديث يظهر أنّ جواب النبي صلى الله عليه وسلم اختلف لاختلاف أحوال السائلين وأوقاتهم، بأن علم ما يحتاجه كلّ قوم، وبمالهم فيه رغبة واجتهاد وما هو لائق بهم، فاختلاف الجواب لاختلاف حال السائلين.

وللأحاديث دلالة على حِلْم الرّسول صلى الله عليه وسلم على المُستفتِي، حتّى أكثر السؤال عليه، بل جاء في رواية مسلم الأخرى في حديث **ابن مسعود** أنّه قال:"ولو استزدته لزادني"

ب-تركه بناء الكعبة على قواعد إبراهيم-رضي الله عنه- مراعاة لحداثة إسلام أهل مكة:

روت عائشة رضي الله عنها-عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت، فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا، فبلغت به أساس إبراهيم"[2].

فالرسول صلى الله عليه وسلم هنا راعى حال قريش إذ كانوا حديثي العهد بالإسلام ولم يكونوا قد ابتعدوا بالزمن عن الجاهلية، فترك هدم الكعبة وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم خشية من ردّة قريش ورفضهم وبالتالي خشية من معاداته ومعاداة الإسلام، فهذه الحال فرضت على النّبي الإبقاء على قواعد الكعبة كما هي.

ج-زيادته في الجواب لإفادة السائل غير ما سأل عنه ما يحتاج إليه:

في الحديث لما سُئل:أ فنتوضأ بماء البحر؟ أجاب صلى الله عليه وسلم:"هو الطّهور ماؤه الحِلُّميتته"، لتتميم الفائدة وزيادة النّفع للسائل أضاف زيادة "الحلّ ميتته"[3].

ومن أمثلة ذلك: حديث **عبد الله بن مسعود**-رضي الله عنه- قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السآمة علينا"[4].

1المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي،الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تح:إبراهيم شمس الدين، ج2،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1،ص52

2-النّسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي الكبرى، ج2، دار الكتب العلمية، ج3،بيروت،ط3 ص391.

3- المرجع نفسه، ص163

4- البخاري، المرجع السابق، ج5، ص2355.

كان الرّسول صلى الله عليه وسلم من الممكن أن يكتفي بالجواب عن سؤال السائل عن ماء البحر في الوضوء ولكن مراعاة حال السائل الجاهل بالإسلام فقد أضاف عليه الصلاة والسلام إضافات في أحاديثه لكي يزيد من معرفة القوم بدينهم الجديد.

وقد ثمّن ذلك **ابن مسعود** فيمايلي بأن الرّسول كان عارفا بحالهم السائلة المستفسرة عن دين الإسلام، فلم يترك لهم وقتا إلاّ ولقنّهم فيه المزيد.

2/مقتضى الحال عند المفسّرين:

التفسير هو العلم الذي يعرف به فهم كتاب الله تعالى، وذلك من خلال علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها،ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[1].

لقد التفت المفسرون إلى مقتضى الحال، وذلك أثناء كلامهم على مجموعة من القرائن المقامية المبثوثة في تفاسيرهم، أبرزها:

1 -أسباب النزول 2-معهود كلام العرب 3- المكّيّ والمدنيّ.

لقد جرت عادة المفسرين في مؤلفاتهم أن يبدأوا بذكر أسباب النزول، فهي الأحداث والوقائع الملابسة للنّص القرآني، لما لذلك من أهمية كبيرة في فهم المعنى.

لذا اعتنى به المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه التصانيف، وقد "أخطأ من زعم أنّه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ وليس كذلك بل له فوائد منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ومنها الوقوف على المعنى"[2].

ولهذا قال **الواحدي** :"معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها"[3].

وقال **ابن دقيق العيد**:"بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"[4].

1- السيوطي، جلال الدين، الاتفاق في علوم القرآن، ج2، ص462.

2- الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار المعرفة، ص22

3- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، دار الفكر، بيروت، 1996، ص87.

4-السيوطي، المرجع السابق، ج1، ص29.

وقال **ابن تيمية**:"معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب....وقولهم نزلت هذه الآية في كذا يراد به تارة أنّه سبب النزول ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول عُنِيَ بهذه الآية كذا"[1].

ومعرفة سبب النزول ومشاهدة وقت تنزيل الآية وما أحاط بالقرآن من الظروف "والملابسات التي حفت بنزول القرآن الكريم لها أهمية ضرورية في فهم معنى الآيات ودلالتها، وعلى هذا فالرّسول صلى الله عليه وسلم والصحابة-رضوان الله عليهم-هم الأكثر فهما للقرآن الكريم، لأنّهم الأكثر إدراكا لهذه الظروف والملابسات ومقتضيات الأحوال التي ترافق نزول الآيات"[2].

فابن خلدون وابن تيمية يشيران إلى أن معرفة أحوال وأسباب نزول الآيات القرآنية هي السبيل إلى فهمها أصلا، ولا يمكن عزل الآية عن مقتضى الحال التي تركزت في صدده.

وفي تفسير القرآن نجد أن عناصر مثل:(المتكلم ما يتصل به/المتلقي وما يتصل به/العلاقة بين المتكلم والمتلقي/الموقف الكلامي/الظروف الخارجية)حاضرة في عمل المفسرين حفلت بها كتبهم وشكلت جزءا من منهجهم في التعامل مع النّص القرآني لفهم دلالته ويمكن أن نعدها ضمن القرائن المعنوية التي تقابل القرائن اللّفظية المعينة على التفسير وهي كثيرة ومتشعّبة بحيث لا يمكن الإحاطة بها، فيقول **السّيوطي**:" وأمّا القرائن المعنوية فلا تنحصر"[3].

وقد أدرك الإمام **الشاطبي**قيمة القرائن الحالية وأشار إليها بقوله:"معرفة مقاصد الكلام إنّما مداره معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطَب أو المخاطب أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك"[4]

3/مقتضى الحال عند الأصوليين:

سار علماء الأصول على نهج علماء العربية في الكشف عن المعاني من خلال السياق، فيبدوا مفهوم السياق عندهم أكثر وضوحا، فقد اعتمدوا عليه في بيان المعنى في الخطاب

1- ابن تيمية، مقدمة في التفسير، ص 339-340
2- ابن خلدون، المقدمة، تدقيق: عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ط4، 1990، ص490.
3- السيوطي، المرجع السابق، ج2، ص214.
4- خالد العكك، أصول التفسير وقواعده، دار الكتاب العربي، بيروت، 86م، ص102.

الشرعي، ذلك أنّه:"يبّن دلالة الألفاظ ما يُؤخذ من النّص وما يفهم من غيره، وفيه ضبط دقيق لمدلولات العبارات وإشارتها."[1]

وبذلك تكون الدلالة من أهم ما يعنى به هذا العلم.

حاول الأصوليون وضع ضوابط كثيرة لدلالة النصوص، وميّز بين الدلالة المتبادرة إلى الذهن من ظاهر اللفظ، والدلالة التي أرادها صاحب النّص أن تفهم من كلامه، ويحدّد **ابن القيّم**وظيفة القرائن الخارجية في إجلاء الحكم الشرعي بقوله:"فمن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب إتباع مراده والألفاظ لم تقصد لذواتها وإنّما هي أدلّة يستدل بها على مراد المتكلّم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان العمل بمقتضاه سواء أكان بإشارة أو كتابة أو بإيماءة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو إعادة له مطردة لا يخل بها"[2].

فالعبرة بالمقاصد لا بالألفاظ، وقد يعمّم الكلام أو يخصّص بها "فاللّفظ الخاص قد ينتقل إلى معنى العموم بالإرادة والعام قد ينتقل إلى الخصوص بالإرادة، فإن دعي إلى غذاء فقال:(والله لا أتغذى)، أو قيل له: نم فقال:(والله لا أنام)....فهذه ألفاظ عامة نقلت إلى معنى الخصوص، بإرادة المتكلم التي تقطع للسامع عند سماعها بأنّه لم يرد النفي العام إلى آخر العمر، والألفاظ ليست تعبدية والعارف يقول ماذا أراد، واللّفظي يقول ماذا قال..."[3].

ويلحّ الأصوليون على فكرة المقام في الإبانة عن المقاصد، فتصبح الأسباب والأحوال التي يقترن بها خطاب الشارع الحكيم كيفيات تتكيف بها الدلالة على الحكم عموما وخصوصا وإطلاقا وتقييدا، لأن الدلالة تبقى ظنيّة حتى تأتي القرائن المرجحة للمراد منها الرافعة كما فيها من إشكال فالكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك، كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معان أخر من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز وأشباهها، ولا يدلّ على معناها المراد إلاّ الأمور الخارجة وعمدتها مقتضيات الأحوال"[4].

هناك إشارة إلى أن العمدة هي القرائن الحالية المختلفة حسب المقام والتي تتحكم في إبانة الكلام والحكم، وإدارة المعنى يسيره الحال لا اللّفظ.

1- أبو زهرة محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.ط، ص20

2- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1،القاهرة، د.ت.ط، ص218.

3- المرجع نفسه، ج1، ص218-219.

4- الشاطبي، المرجع السابق، ج4، ص146

فالقرائن غير مقصورة على اللّفظ، بل قد -تكون دلالة حال- تطبع الألفاظ بطابعها الخاص، وتخرجها من دلالة إلى أخرى، فصفة النهي والأمر تتضحان من خلال دلالة الحال، فليس شيء من ذلك –أي الدلالة الوضعية-مسلما، وكلّ ذلك علم بالقرائن"[1].

وهذه القرائن لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف، كالإيماء باللّفظ والإشارةوهيئة المتكلم، وقد أشار إليها **الغزالي** بقوله:"....قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين يختص بدركها المشاهد لها، فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد"[2].

وقد أشار **ابن تيمية** إلى ثلاث قرائن: حال المتكلم /حال المخاطب /حال المتكلم فيه أي:موضوع الكلام، وذلك حين قال:"اعلم أن من يحكم دلالات اللّفظ، ويعلم أن ظهور المعنى من اللّفظ: تارة يكون بالوضع اللّغوي أو العرفي أو الشرعي: إمّا في الألفاظ المفردة وإمّا في المركبة، وتارة بما اقترن باللّفظ، وتارة بما اقترن به من القرائن اللّفظية التي تجعله مجازا...."[3]

وأمّا **الشاطبي** فقد كان أوسع الأصوليين تعدادا لأقسام القرائن الحالية حيث أشار إليها في قوله:"ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل...وإذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة أو فهم شيء منه ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم الكتاب بالأبد ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال..."[4].فالشاطبي يبيّن من خلال قوله أن معرفة التنزيل لا تتم إلاّ بمعرفة أسبابه وهذه مرتبطة بمعرفة أحوال المنزل عليهم فمقتضى الحال هو الأساس في معرفة أحكام التنزيل وأسبابه هي السبيل إلى ذلك

4/مقتضى الحال عند النّحاة:

ممّا لاشك فيه أنّ النحو العربي بُني منذ بداياته الأولى على ربط اللّغة بمحيطها الخارجي، مراعاة الظروف والأحوال الملابسة للمقال.

1-الغزالي أبو حامد، المستصفى في علم الأصول، ج2،المطبعة الأميرية، بولاق، 1323هـ، ص268.
2- المرجع نفسه، ج2، ص 41-42.
3- ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج6،بيروت، ط1، 1386هـ، ص470.
4- الشاطبي، المرجع السابق، ج3، ص347-351

وبالإطّلاع على تراثنا النحوي نجد أنّ النّحاة قد أدركوا في أثناء التقعيد أن عناصر سياق الجملة قد لا تكفي لاستخلاص القواعد، لذا عوّل النّحاة على المعنى أكثر من تعويلهم على غيره، يتجلّى هذا في مقولتهم الشهيرة الإعراب فرع المعنى.

فمن يقرأ كتب النحاة ويرصد تحليلهم لما يطرأ على أحوال الجملة من ذكر وحذف وتقديم وتأخير وتعريف وتنكير وأساليب الكلام المختلفة، يجد بما لا يدع للشك مجالا أن النحاة نظروا إلى النحو من خلال السياق.

تمثّل جهود المرحلة الأولى مظهرا من مظاهر اهتمام اللّغويين بالسياق لبيان مجرى الكلام، فاللغة عند **سيبويه** لم تنفك عن ملابسات استعمالها، إذ يعتمد المتكلم في أحيان كثيرة إلى حذف بعض الألفاظ ليحقق غرضا معيّنا في نفسه يؤدي إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال لكن نجاح عملية التواصل يقتضي من المخاطب معرفة المحذوف، ليتسنى له فهم الرّسالة اللّغوية .

يقول :"وترك ذكر الفعل لما يرى من الحال، ومثله: بيع الملطى لا عهد ولا عقد، وذلك إن كنت في حال مساومة وحال بيع، فتدع أبايعك استغناء لما فيه من الحال"[1].

وأمّا **ابن جنّي** فقد اهتم بأثر "القرائن الحالية" في فهم المعنى، بل عدها أقوى من النقل بالسماع دون المشاهدة، فحال المتكلم والطريقة التي ينطق بها المتكلم كلامه في باب شجاعة العربية بقوله:

"اعلم أنّ معظم ذلك إنّما هو الحذف، والزيادة، والتقديم والتأخير، والحمل على المعنى والتحريف"[2].

وفي بيان أهمية هذه القرائن الحالية يقول:"ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة، نحو قولك إذا رأيت قادما:خبر مقدم، أي قدمت خبر مقدم، فنابت الحال المشاهدة مناب الفعل الناصب...، الفعل هنا قد حذفته العرب وجعلت الحال المشاهدة دالة عليه، ونائبة عنه"[3].

1- سيبويه، الكتاب، تح: محمد هارون، ج1،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص273.
2-ابن جنّي، المرجع السابق، ج1، ص208
3- المرجع نفسه، ج1، ص72-76

فما حذف يدلّ عليه المقام، لأن "الحذف لا يدخل الجملة إلاّ بوجود قرينة دالة تمنع حصول اللّبس، لذلك اشترط النحاة لصحة الحذف وجود دليل مقالي أو مقامي، وإن لا يكون في الحذف ضرر معنوي أو صناعي يقتضي عدم صحّة التعبير في المعيار النحوي"[1].

ويتحدّث **ابن هشام** عن شروط الحذف فيقول:

"أحدهما وجود دليل حالي كقولك لمن رفع سوطا(زيدا) بإضمار اضرب، ومنه قوله تعالى:"قالوا سلاما"[58 الحجر] أي سلمنا سلاما"[2].

5/مقتضى الحال عند النقاد والبلاغيين:

لقد تمحورت أعمال البلاغيين والنّقاد علم فكرة "المقام"، وهذا مرهون بقدرة المتكلّم على رعاية مقتضى الحال، وعلى قدر هذه الرّعاية تقاس بلاغة الخطاب والملكة البلاغية لدى المتكلم قوة أو ضعفا، لأن مدار البلاغة وجوهرها هو في رعاية الكلام الفصيح لمقتضى الحال، كما جاء في تعريف البلاغة، فقد نُقل عن **بشر بن المعتمر** أنّه قال في صحيفته:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[3]. وهذا ما يطلق عليه أهل البيان التناسب اللّفظي والمعنوي الذي له الأثر في جودة الكلام، وزيادة حظه من الفصاحة والبيان، كما قال:"ومن أراد معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما".

ويقول **ابن رشيق** في سياق حديثه على ما يحتاج إليه الشاعر:"ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان، ليدخل إليه من بابه، ويداخله في ثيابه، فذلك هو سرّ صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت النّاس وبه تفاضلوا، وقد قيل: لكلّ مقام مقال"[4].

فابن رشيق هنا يؤكد أن معرفة أحوال المخاطب ضرورة في صناعة الشعر، لأن حال المخاطبين متفاوتة، ومعرفتها أساسية لتبليغ رسالة الشاعر التي تستهدف النفس أوّلا.

1- فاضل السامرائي، الجملة العربية-تأليفها وأقسامها-دار الفكر، عمان، الأردن، ط2، ص83.

2-الأنصاري بن هشام، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تح:محمد محي الدّين عبد الحميد، ج2، ص672.

3- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1،القاهرة، ط5، ص138.

4- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج1،ط5، ص199.

كما يؤكدّ على المقام الخارجي والاجتماعي المحيط بالمخاطبين، ويؤيّد ذلك في موطن آخر بقوله:"الفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشكلها، وينظر في أحوال المخاطبين، فيقصد محابهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خافت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره"[1].

وقد أوصى **ابن قتيبة** جمهور الكتّاب بوجوب مراعاة مقتضى الحال عند ممارسة الصنعة، وذلك في الألفاظ والمعاني على حدّ السواء فيقول:"ونستحب له أن ينزل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطي خسيس النّاس رفيع الكلام، ولا رفيع النّاس وضيع الكلام"[2].

وهنا تتجلى أن لكل مقام مقال وضرورة العناية بحال المخاطب(المتلقي) حين إيراد الكلام حتى لا يخرج عن البلاغة، وهو أساس كما أشار ابن قتيبة وشرط للكاتب(المرسل)

ويؤكدّ **العسكري** على ضرورة مراعاة حال المخاطبين وظروف الخطاب ويقول في كتابه "الصناعتين":"وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات النّاس، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به كما يعرّفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب"[3]، تقريبا نفس ما جاء به ابن قتيبة، أي مراعاة أحوال المخاطبين في الكلام .

والأمر لا يختلف عند **قُدامة بن جعفر** فعند حديثه عن مدح السوقة وذوي الصناعات يقول:"أمّا مدح ذوي الصناعات، فإنّ يمدح الوزير والكاتب بما يليق بالفكرة والرويةوحسن التنفيذ والسياسة....، وأمّا مدح السوقة من البادية والحاضرة فينقسم بحسب انقسام السوقة إلى المتعيشين بأصناف الحرف وضروب المكاسب، وإلى الصعاليك والخراب والمتلصصة، ومن جرى مجراهم"[4].

فما نستخلصه أن النّقاد تناولوا مفهوم المقام، وتحدثوا فيما نُقل عنهم على مقام الخاصة والبدو، ومقام العامّة والسوقة والأعاجم، ثمّ بسطو الكلام في عناصر المقام لكلّ موقف وضربوا لذلك الأمثلة الكثيرة.

1-المرجع نفسه، ج1، ص223.
2- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، المكتبة التجارية، مصر، ط4، ص14.
3- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي، دار إحياء العلوم، القاهرة، ط1، ص29.
4- ابن جعفر قُدامة، نقد الشعر، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ص85-87.

وقد أكّد البلاغيون ما قرره النّقاد في مصنفاتهم، فقد دعا **الجاحظ** إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكرر ذلك في كتبه فقال:"لكلّ ضرب من اللّفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من اللّفظ، ومدار الأمر على إفهام كلّ قوم بمقدار طاقتهم، والعمل عليهم على أقدار منازلهم، وأن تواتيه آلاته، وتتصرّف معه أداته"[1].

وذكر**السكّاكي**في مفتاحه أنّ:"ارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه:مقتضى الحال"[2].

وقد تناول مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال من زاوية اختلاف مقامات الكلام عن بعضها، يقول:"لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فالتشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الذّم .....وجميع ذلك معلوم لكلّ لبيب"[3].

وفي الختام نقول إنّ العرب القدامى وعلماءهم، من أصوليين ونحويين ونقّاد وبلاغيين قد اعتنوا باللّغة عناية بالغة، من حيث ألفاظها ومعانيها ودلالاتها، فتتبعوا أحكامها إفرادا وتركيبا، حقيقة وجازا إطلاقا وتقييدا، خصوصا وعموما...ووضعوا القواعد التي تضبط سبل استنباط الأحكام من هذه اللّغة التي نزل بها القرآن الكريم، نزولا عند أمره تعالى بتدبّر معاني نصوصه وإدراك مقاصدها ودلالاتها، عملا بقوله تعالى:"أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها"[محمد 24].

والتدبّر إنّما يكون بالالتفات إلى المقاصد، ومراعاة مقتضيات الأحوال.....

ومنه يجدر بنا البحث في نظريات السياق الحديثة ومدى علاقتها بالتراث كما هو آت في الفصل الأوّل.

1-الجاحظ، المرجع السابق، ص168

2-السكّاكي، مفتاح العلوم، تح:نعيمزرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، ص168.

3- المرجع السابق، ص168.

الفصل الأوّل

السّياق ونظريّاته

المبحث الأوّل: تعريف السياق لغة واصطلاحا

المبحث الثّاني: أهميّة السياق

المبحث الثّالث: مستوياته وأنواعه

المبحث الرّابع: سياق المقام في الدّرس الغربي وموازنته بالدّرس العربي

توطئة:

السياق (le contexte) والاهتمام به كأداة لسانية إجرائية حديثة هو وليد علم الدّلالة اللّغوي(la sémantique d'inguistique) وهو علم حديث النشأة في الغرب بالمقارنة مع باقي مستويات الدّرس اللّساني، حيث تبيّن حديثا أنّه لا يمكن لباقي مستويات اللّغة الاستغناء عنه.

"ولقد ميزت الدراسات الدلالية بين أنواع عديدة من المعنى واعتبرتها أساسية في الوصف الدلالي، منها المعنى التقريري، والإيحائي والإجرائي....، كما أنّها اهتمت بالسّياق باعتباره أداة إجرائية تعلب دورا رئيسيا في تحديد المعنى، إذ يتفق معظم الدلاليين أن للكلمة معنى قاعديا (sens de base)، ومعنى سياقيا(sens contextuelle) وبذلك يظهر أنم أي اقتراب من قضية المعنى يحثّ على معرفة السّياق"[1].

ومنه يفتح المجال لمعرفة هذه النظرية وأهم مفاهيمها وأجزائها، ودور السياق كأداة وإجراء في تجلية المعنى وفهمه لدى الناطق باللغة وغيره.

كما أنّ السّياق والمعنى قطبان مهمان في فهم المقصود من الكلام واستنطاق دلالته، ويقتضي المنهج الوقوف عند مفهوم السياق.

1-علي آيت أوشان، السّياق والنّص الشعري-من البنية إلى القراءة-دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، الطبقة الأولى، 1421هـ، 2000، ص15.

المبحث الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحا:

المطلب الأوّل: التعريف اللّغوي:

قال"الجوهري": "و يقال ولدت فلانة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض، ليس بينهم جارية...و السياق نزع الروح"[1]

و قال "ابن فارس": " السين و الواو و القاف أصل واحد، و هو حدو الشيء يقال ساق يسوق سوقا، و السيقة: ما استيق من الدواب .

-يقال: سقت إلي امرأتي أي صداقها، و أسقته و السوق مشتقة من هذا،لما يساق إليها من كل شيء، و الجمع أسواق، و الساق للإنسان و غيره، و الجمع سوق، و إنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق عليها"[2]

من خلال التعريفين في معجمي الصحاح و مقاييس اللغة يتضح معنى الحدو والاتباع، وقد أسهب و فصّل ابن فارس-خاصة- في إدراك المعاني المتعلقة باللفظ (سوق الدواب والصداق و السوق، و ساق الإنسان...)

قال "الراغب الأصفهاني": "سوق الإبل: جلبها و طردها، يقال: سقته فانساق... السّويق وسمي لانسواقه في الحلق من غير مضغ"[3]. أي بمعنى الاتباع و السلامة و المرور.

قال"ابن منظور" في لسان العرب: "سوق السوق معروف ساق الإبل و غيرها يسوقها سوقا سياقا... و قد انساقت تساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، و كذلك تقاودت فهيمُتَقاوِدَة مُتَساوِقة، وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أَعْنُزًا ما تَسَاوقُ أي ما تتابَعالمُتَسَاوِقَةُ المُتَابَعَةُ كأنّ بعضها يسوقُ بعضا، والأصلُ في تَساوَقُ تتساوقُ كأنّها لضعفها وفرط هُزالها تتخَاذَلُ ويتخلّفُ بعضها عن بعض- سَاقَ إليها الصّداق والمهر سياقا أساقَه وإن كان دراهم أو دنانير، لأنّ أصل الصّداق عند العرب الإبلُ وهي التي تُساق، فاستعمل ذلك في الدّرهم والدّينار وغيرهما... وهو في السّوْق أي النزع كأنّ روحه تُساق لتخرج من بدته ويقال له السياق أيضا"[4].

---

[1]- إسماعيل بن حماد الجواهري، الصحاح، في اللغة ،ج6، دار العلم للملايين، لبنان، ط2، ص 77.

[2]- أبو الحسن ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تج: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط2، 1392هـ، ص 117.

[3]- المفضل الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 436.

[4]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج10، ص166-170 ، مادّة (سوق)

فابن منظور يوسع في شرح معنى لفظ السياق الذي ذكره ابن فارس سابقا وكان أكثر إيضاحا في معانيه (سوق الإبل والصّداق وخروج الرّوح)

وقال **الفيروز آبادي:**" والسّياق، ككتاب: المهر....والمُنْساق: هو التابع، والقريب .....وتساوقَت الإبل: تتابعت وتقاوَدَت، والغنم: تزاحمت في السير"[1].

قال **الزمخشري:**" ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك ساق الحديث، وهذا الكلام مساقُه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سيره"[2]

ويُقصد بالسّرد التوالي والتتابع نلاحظ من خلال ما قدمه الزمخشري انتباهه إلى دلالة أخرى للسياق أوردها في الاستعمال المجازي للفظ حيث ربط لفظ السياق والحديث(الاستعمال) ومعاني المجازات التي ذكرها الزمخشري تكون وصفا للأسلوب والغرض والغاية،ثم توالي وتتابع مكوّنات الحديث(النّص) وهو التتابع المفهوم من سوق الإبل أو القافلة.

جاء في "معجم الوسيط"تأليف جماعة من الباحثين*:

"السياق: المهر، و سياق الكلام، تتابعه و أسلوبه الذي يجري عليه، و السياق النزع، يقال: هو في السياق: الاحتضار".[3]

إنّ مختلف الشروح التي أوردها (المعجم الوسيط) للفظ"السياق" لا تخرج عمّا قدّمه (لسان العرب) و(أساس البلاغة). و هي شروح لم يرد فيها أي تحديد للسياق كما نفهمه اليوم أو نحاول أخذه عن العديد من الدراسات بالرغم أنه من المفروض في القاموس أن يواكب ما يطرأ على اللغة من تغيّر نتيجة تغيّر بنيات المجتمع، و يستجيب للتطور الحضاري.

و بهذا يتبين أنّ هذه المادة تدور على معنى التتابع، و الاتصال، و أنّ استعمال العرب لها و لمشتقاتها يدور على ذلك، و سبق في كلام العلماء من تعليل تلك الاستعمالات ما بيّن أن هذه المادة تدور على ما ذكرنا، فإنّ سوق الإبل و تساوقها من التتابع و التتابع اتصال لا انقطاع

1- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج3، مطبعة مصطفى اليالي الحلبي، القاهرة، ط2، 1371 هـ ، ص 335 ، مادة (سوق)

2- الزمخشري، أساس البلاغة، داربيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ ، ص314.

* د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر، د. عطية الصوالحي، د. محمد خلف الله أحمد

3- المعجم الوسيط، ج، 1دار الفكر، ص 465.

فيه، و ساق الإنسان كذلك، و المهر، و سوق الروح، و السوق سوق البيع و الشراء كل ذلك يدور على معنى التتابع و الاتصال.

المطلب الثاني: السياق اصطلاحا:

بالرغم من ورود لفظ السياق في التراث العربي بهذه الصيغة و بصيغ اخرى، سواء كان وروده عند اللّغويّين أو البلاغيين أو المفسّرين أو الأصوليّين، إلاّ أنه يستعمل استعمالات (سياقية) مختلفة و قابلة لتعدّد الفهم، و إنه لم يوضع له تعريف معين و لم يجر له في كتب الاصطلاح ذكر.

أ- لدى القدامى: لنحصر مفهوم لفظ السياق لدى القدامى في ثلاث نقاط هي:

1.السياق هو الغرض:أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، و استخدام المصطلح بهذا المفهوم شائع لدى البلاغيين و الأصوليين.

قال "السرخسي": "القرينة أي تقرن باللفظ من المتكلم، و تكون فرقا فيما بين النص و الظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام"[1].

و قال " السجلماسي" في تعريف السياق بأنه: " ربط القول بفرص مقصود على القصد الأول"[2]

2.السياق هو الظروف و المواقف و الأحداث الذي قيل بشأنها النص:

و أوضح ما عبر به عن هذا المفهوم لفظا الحال و المقام لدى البلاغيين.

3.ما يعرف بالسياق اللغوي:

و يشمل العناصر اللغوية السابقة للكلام أو اللفظ و العناصر اللغوية اللاحقة له.

قال " البناني": " السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"[3]

*و لعلّ الشافعي بعد أول واضع له، حين استخدم مصطلح (السياق) بمفهومه اللغوي لما عقد بابا أسماه (باب الصنف يبين سياقه معناه) في كتابه " الرسالة". و بيّنه بقوله: " تبتدئ

[1]- محمد بن أحمد السرخسي، أصول السرخسي، تح: أبو الوفاء الأفغاني، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1414هـ، ، ص 169.

[2]-أبو محمد الأنصاري السجلماسي، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تح: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط 1، 1401هـ ، ص 188.

[3]- عبد الرحمن البناني، حاشية البناني- في شرح الجلال المحلي على متن الجوامع للسبكي-، ج1،مطبعة مصطفى الحلبي، ط 3، 1356هـ ، ص 20.

العرب الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، و تبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"[1]. و يقصد بذلك " سياق النص".

يمكننا أن نلخص المراد من اصطلاح(السياق) عند القدماء من اللغويين العرب في النقاط الآتية:

- هو الغرض الذي سيق من أجله الكلام.
- هو الظروف و المواقف التي سيق فيها الكلام.
- هو العناصر اللغوية السابقة و اللاحقة للكلام.

و منه يتضح الإرهاص الأول للسياق الاجتماعي اللغوي و الثقافي و كذا السياق اللغوي في حد ذاته.

فاستيعاب السياق لجميع ما سبق ذكره هو الذي يحدد المصطلح، بمفهومه العام. و من ثم يخلص إلى تعريف السياق أنه:

"ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، و المخاطب، و الغرض الذي سيق له، و الجو الذي نزل فيه"[2]

[1]- الشافعي، الرسالة، تح: أحمد شاكر، ط2، دار التراث، القاهرة، 1399هـ، ص 52.

[2]- سعيد الشهراني، السياق القرآني و أثره في تفسير المدرسة العقلية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2006، ص 22.

ب-في علم اللغة الحديث*:

نال السياق محور اهتمام اللسانيات بصفة عامة و ليس قصرا على اللسانيات النصية

- قاموس" السيميائيات" لغريماس و كورتيس: ورد فيه أن : " السياق: هو مجموع النصوص أي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة و تتعلق بها الدلالة (La signification) حيث يمكن له أن يكون صريحا (Explicite) أو لسانيا، و يمكن أن يكون ضمنيا(Implicite) و يتميز في هذه الحالة بأنه سياق خارج لساني (Extra-Linguistique) أو مقامي (Situationnal)، و يمكن للسياق الضمني أن يشتغل بقصد التأويل الدلالي(L'interprétation Sémantique)"[1]
- و في " القاموس الموسوعي لعلوم اللغة"لكل من: ديكرو و تودروف "يعالجان في القسم المعنون بـ **"مقام الخطاب"** مجموعة من القضايا المتعلقة بالسياق و المقام، فمقام الخطاب هو مجموع الملابسات التي في إطارها يتحدد فعل التلفظ L'acte d'énonciation) سواء كان مكتوبا أو شفويا، و ينبغي أن يفهم من هذا على حد تعبير ديكرو:
  - المحيط المادي و الاجتماعي الذي يأخذ فيه هذا الفعل مكانه.
  - الصورة المتبادلة بين المتخاطبين- هويتهم- الفكرة التي يحملها كل واحد عن الآخر.
  - الأحداث التي تسبق فعل التلفظ"[2].
- و في"قاموس اللسانيات" لجون ديبوا(Dictionnaire de Linguistique) يحدد السياق كما يلي:

1- "المحيطL'environnement: أي الوحدات التي تسبق أو تلحق وحدة محددة ويسمى بالسياق أو السياق الشفوي.

*اقتصرنا على أقوال الغربيين و القواميس المتخصصة لهم، لأن المحدثين العرب جل مقولاتهم إما اقتباسا أو ترجمة عنهم.

[1]- ينظر على آيتأوشان، السياق و النص الشعري- من البنية إلى القراءة- دار الثقافة، ص 31-32.

[2]- ينظر المرجع نفسه، ص 32-33.

2- مجموع الشروط الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات القائمة بين السلوك الاجتماعي لاستعمال اللغة و نقول أيضا المقام، و هو مجموع المعطيات

3- المشتركة بين المتكلم و المستمع في مقام ثقافي و نفسي للتجارب و معارف كل منهما..."[1]

- يرى هاليداي Hallydayأنّ السياق: "هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[2]
- و أشار أولمانOlmanإلى أنّ السياق: "ينبغي أن يشمل لا الكلمات أو الجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة فحسب، بل و القطعة كلها، و الكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل- بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف و ملابسات والعناصر غير اللّغوية المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"[3]

أي أن السياق يعني واحدا من اثنين:

1- السياق اللّغوي: و هو ما يسبق الكلمة، و ما يليها من كلمات أخرى.

2- السياق غير اللّغوي: أي الظروف الخارجيّة عن اللغة التي يرد فيها الكلام.

يتضح أن القواميس الغربية خاصة متخصصة منها تعاملت مع السياق كمصطلح و هي تعي حمولته المعرفية في الدرس اللساني، فقد عرضت له عن وعي و عرفت به و شرحته مستجلية هذه الحمولة(لأن التحكم في المصطلح هو تحكم في المعرفة) و هذا ما غاب عن قاموسنا العربي الذي لم يواكب التحول و لم يرد فيه تحديدا كما نفهمه اليوم ولكنّنا سبقنا الغرب بمئات السنين في بيان أهمية السياق بعناصره المقالية و الحالية.

[1]- ينظر: علي آيت أوشان، المرجع السابق، ص 34.
[2]- ينظر: يوسف نور عوض، علم النص و نظرية الترجمة، دار الثقافة للنشر، ط1، مكة المكرمة، 1410هـ، ص 29.
[3]- أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ص 57.

المبحث الثاني:أهمية السياق:

المطلب الأوّل : عند القدماء:

يقوم السياق في أحيان كثيرة بتحرير الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها، و منذ القديم أشار العلماء إلى أهمية (السياق أو المقام) و تطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه وقالوا عبارتهم الموجزة الدالة "لكل مقام مقال" فالسياق متضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما"[1] فلذلك ركز النحاة على اللغة المنطوقة، فتعرضوا للعلاقة بين المتكلم و ما أراده من معنى و المخاطب و ما فهمه من الرسالة، و الأحوال المحيطة بالحدث الكلامي.

كما أن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، " و ربما اتحد المدلول و اختلف المعنى طبقا للسياق الذي قيلت فيه العبارة أو طبقا لأحوال المتكلمين و الزمان و المكان الذي قيلت فيه".[2]

و أشار الباحثون إلى أهمية السياق "في التفريق بين معاني(المشترك اللفظي) و أن تحديد دلالات هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق، و قد تعرض سبويه إلى هذه القضية في أول كتابه بعنوان(هذا باب اللفظ للمعاني)"[3]

و يستفاد من ذلك أيضا أنه إذا تعدد معنى الكلمة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها. وتعدّد احتمالات القصد يقود إلى تعدّد المعنى، و يقوم السّياق و وضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللّغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديدا دقيقا مهما تعدّدت معانيها و يصرف ما يدّعى من التباس أو إبهام أو غموض في الدّلالة.

- كما تتركز أهمية سياق الحال أو المقام في الدرس الدلالي فوائد منها:" الوقوف على المعنى، و تحديد دلالة الكلمات، و إفادة التخصيص و دفع توهم الحصر وردّ المفهوم الخاطئ... و غيرها"[4].
- و السياق يساعد على تعيين دلالة الصيغة، فربما جاءت بعض الأبنية متحدة الوزن، و لكنها تختلف في دلالتها على المعنى المراد، أو الذي يحدد هذه الدلالة إنما هو

[1]- د. نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة،(سلسلة عالم المعرفة)، الكويت، ط2، سنة 1979، ص 63.

[2]- د. محمد يوسف حبلص، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتب، ط1، 1991- 1411هـ ، ص 110.

[3]- التعليقة على كتاب سبويه، عوض القوزي، ط1، دت، سنة 1992- 1412هـ .

[4]- د. كمال بشر، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، دار المعارف المصرية، سنة 1969م.ص44

سياق الكلام، مثل: أسماء الزمكانية تصاغ من الثلاثي على وزن مفعَل نحو (مذهب، مأكل...) إلاّ في حالتين تكون على وزن مفعِل، و في كل هذا لا نستطيع التفرقة بين الزمان و المكان إلا بالسياق مثل (مغرب) (موعد) و السياق هو الذي يحدد المراد و يعين المقصود"[1].

- و على مستوى التراكيب فلقد أشار الدكتور" محمد حماسة" إلى أهمية السياق في الوصول إلى (المعنى النحوي الدلالي) فقال: " و لا تكون للعلاقة النحوية ميزة في ذاتها، و لا للكلمات المختارة ميزة في ذاتها، و لا لوضع الكلمات المختارة في موضعها الصحيح ميزة في ذاتها ما لم يكن ذلك كله في سياق ملائم"[2]

يعتبر السياق ذا أهمية بالغة عند البلاغيين و النحاة منذ القدم إلى غاية العصر الحديث، لما يشكله من نقلة في التوضيح و التفريق بين المعاني المختلفة، و كذا معرفة مواقع الكلمات في التركيب حسب معانيها المتوخاة من خلال السياق الكلامي.

المطلب الثّاني: عند اللغويين المحدثين:

تعد" نظرية السياق" حجر الأساس في المدرسة اللغوية الاجتماعية التي أسسها (فيرث)في بريطانيا، و التي وسّع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، فقد عرفت مدرسة لندن "بالمنهج السياقي" الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة" فنراه ينص على أن اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لأنها مزيج من عوامل العادة و العرف و التقليد و عناصر الماضي و الإبداع، و كل ذلك يشكل لغة المستقبل، و عندما تتكلم فإنك تصهر كل هذه العوامل في خلق فعلي ملفوظ، و نتاج لغتك و شخصيتك هو أسلوبك، و في هذا الارتباط حقل واسع للبحث في الأسلوبية."*[3]

---

[1]- المرجع السابق.ص44

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح د. محمد رضوان الداية و د. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط2، 1407هـ - 1987م.

* تعددت المناهج اللغوية الغربية المختلفة، كالنظرية الإشارية (Ritcharlse)و التصورية و السلوكية (Blomfild) (J. Lock)و لكنها لم تقدم لنا فكرة السياق بالمفهوم الذي حدده(فيرث) في مدرسته.

[3]- ينظر: Oxford, London, J. R FIRTH M :Papers in linguistic s. p184
Reprinted 1958. Amen House .UniversityPress. 1961

يقول "ستيفن أولمان" " إن نظرية السياق- إذا طبقت بحكمة- تمثل حجر الأساس في علم المعنى، و قد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن...فكل كلماتنا تقريبا تحتاج على الأقل إلى بعض الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أو غير لفظي..." و يقول: " إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل – لا الكلمات و الجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة فحسب- بل والقطعة كلها و الكتاب كله"[1] و هو ما يطلق عليه سياق النص.

و بهذا نرى أن المنهج السياقي- نظرية السياق- رغم الدراسات و النظريات التي سبقته، إلاّ أنه أخذ مركزه اللغوي و قالبه الخاص على يد مدرسة (فيرث) الذي تعد له أصوله و أوضح أهميته البالغة في علم اللغة الاجتماعي. فالظروف الخارجية هي التي تحكم المقال و النص بصفة أعمّ و أشمل، فكانت النظرية الأساس الفعلي للخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص الحديثة.

[1]- د. فايز الداية، علم الدلالة العربي، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط1، 1985، ص 218.

المبحث الثالث : مستويات السياق و أنواعه

المطلب الأوّل: مستوياته:

يتكون مصطلح "السياق"(Contexte) من مقطعين texte وCon أي "مع النسيج " حيث استعمل المصطلح الأول يعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النص، أي تلك المجموعات من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مسموعة، إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية و غير لغوية"[1]

فالسياق لفظ يتكون من (Con)تعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص "و هي فكرة تتضمن أمورا أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة والتي يمكن وصفها بأنّها الجسر بين النص و الكل" [2]

و في هذا الصدد يرى" رشيد بن مالك" أن السياق يكون على ثلاثة مستويات:

"أولها: على مستوى الكلام: يشمل المحيط الألسني للوحدة على مجموعة من العناصر الحاضرة في النص المجاورة أو المبتعدة عن الوحدة المدروسة.

ثانيا: على مستوى اللغة: تكون كل وحدة ألسنية بمثابة السياق للوحدات الموجودة في رتبة أدنى، و يتموضع سياقها في الوحدة الموجودة في مستوى أعلى.

كالفونيم (ص) يتمظهر في سياق (صديق) و بدوره يتمظهر في سياق(صديق) في جملة (أنت صديق).

ثالثا: المحيط الألسني أو غير الألسني: الذي تتحقق فيه الوحدة" [3]

إذن نستخلص من كل ما سبق أن السياق ينقسم إلى قسمين هما:

السياق اللغوي و غير اللغوي "الذي يعني كل ما يحيل على خارج النص أو ما حوله من مؤشرات بيئية (تاريخية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، نفسية...) من الممكن أن تنعكس

[1]- ينظر: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، القاهرة، ط3، 1421- 2001، ص 251.

[2]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، ج1، ص 108.

[3]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، ب ط، 2000م، ص 44- 45.

على النص فيصطبغ ببعض ألوانها لذلك يسعى النقد التقليدي إلى أن يتخذ من السياق معولا مرجعيا يتكئ عليه في سبيل الولوج إلى أغوار النص و إضاءة جوانبه الداخلية"[1]

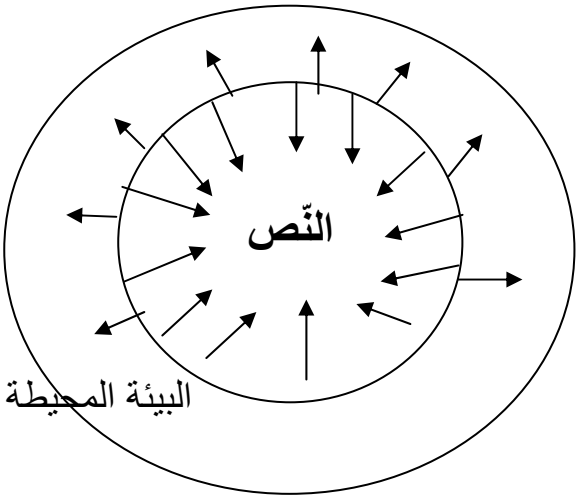

الشكل1*

لذا فالنصّتتجاذبه علاقتان، داخلية كي يتماسك و من ثم فهو واقع بين التأثير و التأثر من قبل البيئة المحيطة. و هذا ما يؤكد لنا العلاقة التلازمية بين النص و السياق باعتباره يؤثر فيه و بفضله نتمكن من القبض على المعنى النصّيّ.

المطلب الثاني: أنواع السياق:

إن تعدد أنواع الكلمة الواحدة يرجع إلى تعدد المواضع التي ترد فيها، و الذي يؤدي بدوره إلى أنواع عديدة من السياقات. و يرى أصحاب نظرية السياق أن معنى الكلمة هو(استعمالها في السياق)

"و لهذاصرح"فيرث" بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال وضع الوحدة اللغوية في سياقات مختلفة، و من هنا فإن دراسة معنى أي كلمة من الكلمات يتطلب تحليل السياقات المواقف والتي ترد فيها"[2]

فالسياق هو قرينة من القرائن المؤثرة في معنى الخطاب مما له علاقة بالخطاب ذاته وهو في بعض الأحيان يكون بارزا لا يحتاج إلى كثير من النظر و التدبر ليظهر وأحيانا يحتاج إلى شيء من، و هذه القرينة إما أن تكون من داخل التشكيل النصي أو خارجه.

---

[1]- يوسف أوغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض بحث في المنهج و إشكالية إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، الجزائر، 2000م، ب ط ، ص 117.

* مخطّط النّصّ والبيئة المحيطة به، المرجع نفسه، ص118.

[2]- ينظر: تمام حسان، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1411هـ ، ص 68.

تقول"بروس أنغام": "السياق يعني واحدا من اثنين: أولا السياق اللغوي و هو ما يسبق الكلمة، و ما يليها من كلمات أخرى، و ثانيا السياق غير اللغوي أي الظروف الخارجية عن اللغة التي يرد فيها الكلام"[1]

و يعرّف "ديبو جراند" (R. de Beaugrand) بين مصطلحين(Contexte)ويتضمن الدلالات الخارجية، و إنتاج النصوص و استقبالها، و(co-text) و يتضمّن مكوّنات قواعدية و نحويّة و دلالات داخلية و صرف و أصوات.

و هذا التفريق بين نوعين من السياق هما(اللغوي و غير اللّغوي) هو ما أكسبته نظرية(فيرث)، أو النظرية السياقية للدرس اللغوي حين أصبح تناول المعنى يعني تناولا لهذين الجانبين، و يصطلح عليهما في الانجليزية على الأشهر:

1-LinguisticContextأوVerbal context، و يراد به السياق اللغوي أو سياق النص.

2-The non- LinguisticContextأوcontext of situation ويراد به سياق الموقف أو السياق غير اللغوي.

وهناك مصطلح ثالث هو context of culture أي سياق الثقافة، وهو ذلك السياق الذي تنطوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية"[2].

1/السياق اللّغوي:

"هذا النوع يحدّه-في الأغلب- العنصر اللّغوي موضع التحليل، فإذا كان العنصر المطلوب تحليله أو دراسته هو الوحدة الصوتية(phonème) فنحن أمام أقل حدود السياق في النص، وهو السياق الصوتي(context phonème) ويكون حدّ هذا السياق هو الكلمة بمفهومها الشائع.

وحين يكون العنصر المطلوب تحليله هو الكلمة (المورفيم)، فإنّ حدود السياق تتمادى قليلا لتصل إلى ما هو أكبر منها، وهو الجملة، ذلك أن الكلمة في الأغلب تتحدد وجودا ومعنى في إطار الجملة"[3].

---

[1]- ينظر: دلالة السياق، رسالة دكتوراه في علم اللغة، ردة الله بن ردة، جامعة أم القرى، المجلد 1،مكة المكرمة، السعودية، 1418هـ، ص 46.

2-ينظر، دلالة السياق-رسالة دكتوراه-مرجع سابق، ص47.

3-ا المرجع نفسه، ص 48

أما حين يكون العنصر المطلوب تحليله أو الوصول إلى معناه هو الجملة، فإن حدود السياق تتمادى إلى النّص المتكون من عدّة جمل، وقد تكون فقرة، أو عدّة فقرات، وقد يكون ما هو أكبر من ذلك.

إذن فالسياق اللّغوي هو الذي يرتبط بالقرائن اللّغوية التي يتضمنها الدليل ويستدل بها على مدلوله من جهة اللّفظ والمعنى لتحديد المعنى اللّغوي، أو ما يعتبر عنه بالمعنى النحوي أو الوظيفي للجملة الذي تتعدّد احتمالات دلالاته فيصبح بحاجة إلى اعتبار القرائن لرفع تلك الاحتمالات وتحديد المعنى المراد.

ويمكن تعريف السياق اللّغويـ:"السياق الذي تمثله بنية التراكيب اللّغوية بأصواتها وكلماتها وجملها وعباراتها...."[1].

ويرى **"عبد القادر عبد الجليل"** أنّ السياق اللّغوي"هو كلّ ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللّغوية الوظيفية وهي تسبح في نطاق التركيب"[2].

لأن المعنى الذي يقدمه السياق اللّغوي، هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدّد.لذلك وجب العودة إلى نظام اللّغة (الصوتيّة- الصّرفيّة- النّحويّة- التركيبيّة- المعجميّة والدلاليّة)للوقوف على ذات الكلمة وأهميتها.

ومن هنا فالسياق اللّغوي يشمل مكوّنات أساسية هي:

أ-السياق الصّوتي:

يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه،"لأنالفونيم" مادّة أساسية مهمة لتوزيع الأصوات داخل السياق وفق محتواها الوظيفي **مثلا:قال-كال،** إذ ليس للصّوت درجة قيميّة داخل نفسه وإنّما مهمته الوظيفية تكمن في تأثيره الدلالي داخل منظومة السياق"[3].

فبفضل الصوت يتم توزيع الكلمات في سياقها المناسب، إذ توزيع **قال** في السياق غير توزيع **حال** وهكذا....

1- فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2005، ص119
2- عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمان، ط1، 2002، ص 542.
3-عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص214.

ب-السياق الصّرفي:

إنّ المورفيمات سواء كانت حرّة أو مقيّدة لا قيمة لها إلاّ إذا كانت ضمن سياق تركيبي معيّن، ومثلها أحرف المضارعة وسواها، حيث تمارس وظيفتها داخل النّص[1].

ج-السياق النحوي:

هو شبكة من العلاقات القواعدية التي تحكم بناء الوحدات اللّغوية داخل النّص وفيها تقوم كل علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية كالإعراب مثلا[2].

د-السياق المعجمي:

هو مجموع العلاقات الصوتية التي تتضافر من أجل تخصيص الوحدة اللّغوية ببيان دلالي معيّن يمنحها القدرة على التركيب وفق أنظمة اللّغة المعينة، هذه الوحدة تشترك في علاقات أفقية مع وحدات أخرى لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب[3].فاجتماع معاني المفردات وعلاقاتها مع بعضها داخل السياق، هو الذي يساعد على إنتاج المعنى العام لأي تركيب.

هـ-السياق الأسلوبي:

ويظهر هذا اللّون من السياق في النصوص الشعرية والنثرية أكثر منه في اللّغة العاديّة لما يمتلكه من قوّة النسج وقوّة التوالد الدلالي، لأنه ملك الفرد ذاته[4]

ومنه نلاحظ أن مكونات السياق اللّغوي تتطابق تماما مع مستويات اللّغة، فالسياق اللّغوي بهذا هو المركبات الداخلية للغة إضافة إلى المركب الأسلوبي المتعلق بالتوالد الدلالي في اللّغة الأدبية والشعرية.

2/السياق غير اللّغوي:

هذا النوع من السياق هو الذي يعتمد على القرائن غير المرتبطة بالدليل والمدلول لتحديد مراد المتكلم بحسب مقتضى الحال، وهذا المعنى هو المعبّر عنه بالمعنى المراد من الخطاب أو مقتضى الحال، ويشمل على عناصر متعدّدة تتصل بالمخاطب والمخاطِب وسائر الملابسات التي تحيط بالخطاب، ويمكن تعريفه على النحو الآتي:"هو ما ينتظم القرائن

1- عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، عمان، ط1، 1422،2002، ص 547

2- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، ص297

3- المرجع نفسه، ص219

4- عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيات الحديثة، ص549.

المقامية التي تفسر الغرض الذي جاء النّص لإفادته سواء كانت قرائن في الخطاب ذاته أو في المتكلم أو في المخاطب أو في الجميع"[1].

أو" هو السياق الذي يشير إلى النواحي المباشرة للنّص والتي يمكن ملاحظتها أثناء حدوث الكلام مثل الإطار والمشاركين والنشاطات التي وقعت فيه[2].

فهذا السياق الخارجي للّغة يمكن أن تقع فيه الكلمة، فيشمل كلّ ما يحيط باللّفظة من عناصر غير لغوية تتصل بالعصر أو نوع القول أو حبشه أو المتكلم والمخاطب، وأي إشارة أثناء النطق تعطي للفظة دلالتها.

مثلا: لا يمكننا أحيانا العثور على المعنى الصحيح داخل الجملة إلاّ بالرجوع إلى مجمل المحادثة والنّص لنقف على المعنى، فالمحيط الخارجي للكلام يؤدي وظيفة الإيضاح للكلام نفسه.

ويسمى هذا النوع أيضا "بسياق الموقف أو سياق الحال أو السياق الخارج عن النّص أو السياق الاجتماعي"[3]،وهو ما سنتطرق إليه في المبحث الموالي بالدراسة والتحليل.

هذا وقد وردت عدّة تقسيمات للسياق، تمثلت في السياق اللّغوي والعاطفي، والثقافي والمقامي(الموقف) غير أنّني فضّلت هذا التقسيم الذي يتماشى مع موضوع بحثي الذي يركّز على سياق المقام أو السياق غير اللّغوي والذي بدوره يشمل جوانب عديدة ستذكر في المبحث الموالي.

1-نجم الدين الزنكي، نظرية السياق: دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007، ص63

2-المرجع نفسه.

3- السياق في الدراسات البلاغية والأصولية:دراسة تحليلية، د.أسامة عبد العزيز جاب الله، جامعة كفر الشيخ، مصر.

المبحث الرابع: سياق المقام في الدّرس الغربي وموازنته بالدّرس العربي:

المطلب الأوّل: نشأته:

تنسب النظرية السياقية إلى روّاد المدرسة الاجتماعية* إثر بحثهم عن العلاقة بين طبيعة اللّغة وطبيعة المجتمع.

يعدّ"فيرثFirth" رائد هذه النظرية، إلاّ انّه لم يأت بها من فراغ، بل لها جذور ممتدّة عند السابقين له أمثال" سوسر Saussure"و"جاكبسونJakobson "، والفضل لهذه النظرية- كما قيل- هو سدّ النّقص الحاصل في النظرية البنيوية (التي فصلت بين اللّسانيات الداخلية واللّسانيات الخارجية)أي إقصاء العوامل الاجتماعية والتاريخية والنفسية المصاحبة للغة، حسب قول دي سوسير:"الموضوع الصحيح والوحيد في علم اللّغة، هو النظام اللّغوي في ذاته ولذاته"[1].

ثمّ جاء أصحاب الاتجاه الوظيفي* الذين اعتبروا اللّغة (أداة تواصل) وتم إغفال سياق إنتاج الوحدات اللّغوية عندهم" إذ أن الوظيفة الرئيسية للأداة هي الإبلاغ"[2]، ركزوا على الوظيفة الإعلامية لهذه الوحدات اللّغوية المنتجة.

ثمّ جاء "مارتينيMartinet" ليعتبر أنّ"اللّغة وسيلة تسمح تسمح للناطقين بما أن يقيموا علاقات فيما بينهم" وأن "المتكلم سوف يترك لغته تتداعى لو لم ترغمه الضرورة على أن يكون مفهوما للآخرين"[3]، دليل على حضور السياق الاجتماعي، لأن إقامة العلاقات حسب قول مارتيني سياق اجتماعي، وحضور المتكلم-غير مقصود لذاته-على اعتبار السياق الاجتماعي، لكن المتكلم أحد العناصر الأساسية لهذا السياق.

---

* ظهرت اللّسانيات الاجتماعية في علم اللغة الاجتماعي ردّ على البنيوية المغلقة، وردّ فعل على النحو التوليدي التحويلي في خمسينات القرن الماضي، قواعدها هي الواقع والسياق التواصلي.

1-فيرديناند دي سوسير(Desaussur)، دروس في الألسنيّة العامّة، تر: صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، 1985، ص55

*الاتّجاه الوظيفي: اتجاه متفرع عن النظريّة البنيويّة انطلق من حلقة "براغ"، أسّس له الفرنسي "أندري مارتيني"عرف بمنهجه الذي يعتبر اللّغة نظاما وظيفيّا يؤدّي إلى التواصل.

2- أندريه مارتيني، مبادئ اللّسانيات العامة، تر: أحمد الحمو، إشراف عبد الرحمن الحاج صالح، المطبعة الجديدة، دمشق، 1975، ص13-14

3- المرجع نفسه، ص13

لقد كانت البداية الحقيقية لنظرية السياق في الغرب متمثلة في الجهود *التي بذلها برونسلامالينوفسكي(Malinoufsky 1942-1884) عندما حاول ترجمة كلمات مستقلة أو جمل منعزلة من إحدى اللّغات البدائية المحدودة الانتشار إلى الانجليزية.

"فبينما كان هذا العالم الأنتروبولوجي الاجتماعي يدرس بعض المجتمعات البدائية من الناحية الإنتروبولوجية، وعند اشتغاله بأبحاث خاصة بسكان جزر (تروبرياندTrobirand) جنوبي الباسيفيك (المحيط الهادي) وجد أنه عاجز كما يقول **بالمر**:"عن الوصول إلى أي ترجمات النصوص التي سجّلها، فقد سجّل مثلا عبارات لصاحب زورق طويل خفيف ضيف يعاد بمجداف ما ترجمته: (نحن- نجري أمام- خشب أنفسنا- نحن تحول نحن- نرى زملاء- ناهو- يجري بنصب- خشب.....)

ويخرج مالينوسكي عن عجزه بزعم "أن هذا الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي استخدم فيه، حيث ستكون واضحا مثلا: كلمة خشب تشير إلى مجداف الزورق، ويقرّر بذلك رأيه في وظيفة اللغة واستخدامها يقول:"اللّغات الحيّة يجب ألاّ تعامل معاملة اللّغات الميتة، تنزع من سياق حالها، بل ينظر إليها كما استخدمها أفراد الصيد...إنّ اللّغة-كما تستخدم في الكتب-ليست هي المعيار على الإطلاق".

ويقول في عبارة أخرى" اللّغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر"[1].

منه نجد أنّه من خلال المشكلة التي تعرض لها مالينوسكي في فهم اللّغات وربط العبارات وتفسيرها ، فحاول ربطها بالمواقف التي قيلت فيها، وبنوع النشاط السكاني الذي صاحبه التتوصل إلى مبادئ وإرهاصات نظرية سياق الموقف(Context of situation)

خلاصة فكرة مالينوسكي عن السياق تظهر بوضوح في قوله:"الكلام والموقف مرتبطان ببعضهما ارتباطا لا ينفصم وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ"[2].

فيبدو أن كلّ لغات العالم هي أسلوب عمل حين يكون سياقها كذلك،أما حين يختلف السياق، فتختلف الوظيفة فهي توثيق فكر، وتبليغ رسالة حين يكون سياقها فكريا أو إبلاغيا مثلا:

* جهود كثيرة سبقت أمثال: سوسيروجاكوبسون، اقتصرنا على ذكر مالينوفسكي نظرا لدقته في الطرح.

1-ينظر: دلالة السياق-رسالة دكتوراه- ردّة الله بن ردّة، جامعة أم القرى، المجلّد 1،مكة المكرمّة 1418، ص 72

2-اللغة ونظرية السياق، مرجع سابق، ص 22

الأغاني والآهاريج أحيانا يكون مدلولها واضحا وأحيانا لا يقصد بها مدلولها حين يكون استخدامها بموقف أو عمل ما كأغاني الرّعاة والعمال وغيرهم.....

ونهض "فيرث" بهذا العبء، بعدما استفاد من أعمال مالينوفسكي، وأصبحت الوظيفة الأساسية للسانيات عنده بيان معنى الحدث اللغوي، فالمعنى عند "فيرث" تجاوز قاعدة الدال والمدلول أو اللّفظ وصورته الذهنية، بل المعنى يحدد من خلال مستويات لغوية تدريجية (صوتية-صرفية-نحوية- تركيبية) وكلّها ضمن سياق الحال."فسياق الحال هو المظلة التي تحتضن هذه النظم"[1]

المطلب الثاني: تطوّره:

بعد أن ترسخت فكرة مراعاة سياق الحال لدى أتباع الاتجاه الاجتماعي، جسّد تلاميذ فيرث مفاهيمه حول سياق الحال فجاء"هاليداي"Halidayبمنهجه الوصفي" الذي يدين فيه لفيرث ويقوم منهجه في المقام الأول على مفهوم سياق الموقف والنظرية السياقية للمعنى"[2].

فهو يشير إلى المقام (situation)، والمقصود به هو سياق المقام الذي يدمج فيه النّص إلى جميع العوامل غير اللغوية، وهي ذات تأثير على النّص.

وبعد ان جاء "بلومفيلدBloomfild" بقوله:" إنّ قضية المعنى هي أضعف نقطة في دراسة اللغة"[3] أحدث إشكالا في فهم أتباعه لدراسة المعنى مما أدى إلى إقصائه ريثما ظهر منهج المدرسة التحويلية التوليدية، فتدارك أتباع بلومفيلد خطأهم، وعادوا لدراسة المعنى في ضوء المنهج التوليدي التحويلي.

"ورفض علماء النّص وتحليل الخطاب قبول التجريد اللّساني لنحو اللّغة، وركّزوا عند تحليلهم للمحاور على أهمية البعد الاجتماعي في الدرس اللّساني"[4].

فالنحو التحويلي التوليدي ل"تشومسكي" الذي جرّد الجملة من أبعادها الخارجية وركز عليها كوحدة أساسية في تحليل الخطاب جاء علماء نحو النص ليلغوا هذا التجريد وينتقلون إلى النص والخطاب كوحدة كبرى تدرس في إطارها الاجتماعي الوظيفي.

1- توظيف سياق الحال في فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، رسالة دكتوراه، زعطوط حسين، كلية الآداب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2013، ص83.

2- محمود جاد الرب، علم اللغة(نشأته وتطوره(، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص150

3-بالمر، علم الدلالة، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995، ص 81

4- صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، ص188.

فبزغ اتجاه جديد لدراسة اللغة منذ سنة 1970، ألا وهو الاتجاه **اللّساني التداولي،** وتحقيقا للبعد الاجتماعي في الدراسة اللسانية المعاصرة، اهتمت التداولية بدراسة الجانب الوظيفي للغة متجاوزة التركيز على النظام التجريدي.

وحينما بدأت التداولية "تدرس المعنى في ضوء الموقف الكلامي"[1]

كرّد اعتبار لنظرية سياق الحال، أصبح يدرس المعنى في إطار الموقف الكلامي الذي يشمل (المتخاطبين، وسياق الكلام، والهدف من الكلام)

وهكذا تمكنت التداولية من ضبط دراسة المعنى، متبعة في ذلك منهجا يراعي النظام التجريدي جوهر المدرسة البنيوية، ويراعي أيضا البعد الاجتماعي جوهر المدرسة الاجتماعية.

المطلب الثالث: في الدّرس العربي موازنة بالدّرس الغربي:

سبق وأن تحدّثنا في مدخل هذه الدراسة عن سياق المقام أو الحال في الدرس التراثي العربي خاصة ما جاء به النحويون والبلاغيون... فلم يكن علماء العربية بعيدين عن إدراك وظيفة السياق ودلالته، فقد اعتمد النحاة الأوائل –على رأسهم"الخليل" و"سيبويه"-على السياق بشقيه(السياق اللغوي وسياق الحال) في التقعيد النحوي مثل:"اعتمادهم السياق اللّغوي في بيان مبنى التركيب ودلالته، واستعانتهم بطرق الأداء اللّغوي المصاحبة للنطق بالعبارة كالوقف والنبر والتنغيم، واعتمادهم على سياق الحال في الاستعانة بإرادة المتكلم والمخاطب في تعيين معنى التركيب واهتمامهم بمضمون الرسالة واستعانتهم بملابسات الحال في التوجيه النحوي.

ويعد مصطلح الحال الذي استخدمه"سيبويه" في كتابه (الكتاب) أقدم مصطلح في التراث العربي النحوي يقترب من مفهوم سياق الحال.ولعلّ هذا المصطلح يرجع إلى أستاذه الخليل"[2]

وهكذا تلتقي تطبيقات الخليل وسيبويه مع أحدث الاتجاهات اللغوية مع تباعد الزمن، إذ طبقا وبإحكام جميع عناصر نظريه السياق على نحو ما عرفته الدراسات الاجتماعية الحديثة.

وعليه يمكن أن نقول دون تردّد: أنّ الخليل وسيبويه يعدّان بحق رائدي النظرية السياقية.

1- صلاح الدين صالح حسنين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، د.س، ص191

2- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ط1، القاهرة، ص115-116.

ومن جانب آخر، فلقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم لأن هذه الفكرة بوصفها من أسس تحليل المعنى تعدّ الآن في الغرب" من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[1].

ولم يكن "مالينوفسكي" وهو يصوغ مصطلحه الشهير يعلم أنّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو يزيد، لأن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلّوه في مؤلفاتهم تحت مصطلح المقام، المشكلة انّ هذه المؤلفات العربية لم تجد الدّعاية والشهرة على المستوى العالمي مثلما وجده مصطلح مالينوفسكي بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي.

فالمقام يمثل سياق الموقف واضح هذا هند البلاغيين على رأسهم "عبد القاهر الجرجاني" الذي يربط الكلام بمقام استعماله، مراعاة مقتضى حاله منبثق من نظرية النظم، وثار على اللغويين العرب، لأنهم لم يستفيدوا من مبدأ (سيبويه) الذي ربط بين الكلام ومقام استعماله.

ويرى الدكتور"كمال بشر" أن البلاغيين قد وُقفوا في إدراك المقام، ولكنهم-كعادتهم- طبّقوه بطريقتهم الخاصة"لقد كانت عنايتهم في "المقام" موجّهة نحو الصّحة والخطأ أو نحو الجودة وعدمها، ولهذا كانت نظرتهم إلى المقام أو مجريات الحال نظرة معيارية لا وصفية"[2].

وبذلك يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المُحدثين حيث اعتبره قاعدة تحتمل الصّحة والخطأ، وليس علما قائما من علوم اللغة وأركانها، أي عندهم المقام هو معيار جمالي يحكم ببلاغة المقام.

وممّا سبق يتبيّن لنا أنّه بالإضافة إلى وعي علمائنا القدامى الكبير بوظيفة السياق وأهميته كان لهم فضل السبق في تطبيق ذلك في جميع المجالات، غير أنّه بسبب انتشار أفكار الغربيين واستحسان آرائهم من جانب، والغفلة عن تنقيب التراث وإحيائه من جانب آخر غُطيت جهود علماء العربية القدامى.

إذن فأقصى ما يمكن أن تعترف به من فضل للنظريات الحديثة ونظرية"فيرث" السياقية هو وضع الإطار النظري للفكرة في إطار نظرية متكاملة الجوانب تسمى بـ **(نظرية السياق)** ومنه نسعى إلى البحث عن تجلّي هذه النظريّة في النصّ الشّعري من خلال التّحليل اللّساني النّصّي، كما سنرى في الفصل التطبيقي الموالي..

1- تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية للكتاب، 1979، ص 337.
2- د.كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، د.ط، 1969، ص 64.

الفصل التّطبيقي

تحليل قصيدة "فاشهدوا" للشّاعر "مفدي زكريّا" -وفق مقاربة لسانيّة نصّيّة-

المبحث الأوّل: تصنيف عناصر السياق وآليّاته

المبحث الثّاني: السياق اللّغوي(تحليل لغوي لساني لوحدات القصيدة)

المبحث الثّالث: السّياق المقامي في القصيدة

توطئة:

ارتبط مصطلح النظرية السياقية"contextuel Therory" بالبحث اللّغوي الذي نظر إلى المعنى بوصفه **"وظيفة في السياق"** للتأكيد على الوظيفة الاجتماعية للغة، بدراستها اللّغة انطلاقا من الظروف الاجتماعية المحيطة بها، لتحدد مفهوم السياق في كونه:"بناء كامل من فقرات مترابطة في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلو مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي الضوء على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"[1].

وبتحليلنا لهذا المفهوم نجده يتكون من العناصر الآتية:

1.بناء متكامل:وحدات لغوية متضامنة تشكل نسيجا نصيا متراصا وهو ما يحققه الترابط الفقراتي المشار إليه.

2.الترابط الداخلي والخارجي:أي العلاقة المكانية المبنية على التجاور القريب أو البعيد بين وحدات الفقرة ثم خضوعها للسياق الخارجي الذي يمثل الإطار العام الموحّد للفقرات.

3.مجموع السياقات الصغرى:التي يصنعها نظام التجاور والتوالي الخطّي للوحدات اللّغوية، وكذلك المحور الاستبدالي لتحصيل المعنى العام.

وسياق الموقف يتقاطع مع السياق اللّغوي في الحقول الدّلالية وما يميّزه انتماؤه الأساسي إلى لغات التخصص والمعاجم المتخصّصة فيكون في الخطاب بصورة مميزة تراعي فيها مستويات المتخاطبين.

1- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدثين

المبحث الأول: عناصر السياق وآليّاته

المطلب الأول :تصنيف عناصر السياق

قامت مدرسة فيرث(firth) على أساس المعنى، حيث أنّه لا يكشف إلاّ من خلال تناسق الوحدة اللّغوية ، وقد خلص إلى أن تحديد المعنى يتوقف على الشروط الآتية:

- " تحليل السياق اللّغوي صوتيا وحرفيا ولغويا ومعجميا ونحويا.
- بيان شخصية المتكلّم والمخاطب.
- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.
- بيان نوع الأثر في الوظيفة الكلامية"[1]

فهذه الشروط خير دليل على ارتباط المعنى بالسياق ارتباطا وثيقا إذ يتعذر الفصل بينهما، وتبرز أهمية السياق في الفهم بأنّه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة التي ينتجها الخطاب وانه يساعد على تحديد المعنى المقصود.

"في رأي اللّغوي **هايمس**أنّ عناصر السياق قابلة للتصنيف إلى ما يلي:

- **الباث(المرسل):**أي المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول(لحدثه)
- **المتلقي (المرسل إليه):**ويعني السامع أو القارئ الذي يتلقى ويستمع ويستقبل القول.
- **المستمعين:** إذ وجودهم يساهم في تحديد معنى الحدث الكلامي.
- **الموضوع أو الرسالة:** وهي محور الحديث (الإنتاج اللّغوي)
- **الظرف:** ويقصد به الظرف الزماني والمكاني للحدث.
- **الوضع الجسماني الأطراف المشاركة:**أي العلاقات الفيزيولوجية للمتفاعلين كتقاسيم الوجه والإشارات والإيماءات"[2].
- **القناة:**أي الكيفية التي تم بها التواصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي لفظا، كتابة، إشارة.
- **الشفرة المستعملة:** وهي اللّغة أو اللّهجة أو الأسلوب المستعمل.

1-محمد شاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النّص، جامعة مانوبا، كلية الآداب، تونس، مج2001،2، ص01-07

2- ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، تر:محمد لطفي الزليطي منير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص47-50

- **صيغةالرسالة:**أي طبيعة الحدث التواصلي الذي يمكن أن نضمن داخله نمطا خطابيا معينا.
- **الطابع:** وهو الذي يتضمن تقسيم الكلام.
- **الغرض:**وهو ما كانت تنوي الأطراف المشاركة للتوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي"[1].

فالعناصر التي أشار إليها هايمس كلّها عناصر تسهم في عملية خلق النّص كما تساهم في فهمه، وعلى محلّل الخطاب أن يختار منها ما هو ضروري في معرفة الحدث التواصلي ولا يمكن أن تكون مجتمعة في فهم خطاب واحد، فقد يوجد هناك عنصر أو عنصرين غالبين في إنتاج ذلك الخطاب وتأويله.

إذن فالتماسك النّصي مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة، سواءا الداخلية(المقالية) أو الخارجية (المقامية)، تشترك وتتضافر مع غيرها من الأدواتلتحقيق النّصية.

المطلب الثاني: آليات السياق في قصيدة "فاشهدوا"

بما أنّ السياق هو العمدة في إنتاج النّص وفهمه فالمتكلم لا يستطيع أن ينتج نصا إلاّ إذا توفرت فيه الشروط الخارجية والنفسية لإنتاجه ولا يتلقى هذا النّص تلقيا مدركا إلاّ إذا كان المتلقي على علم كاف بهذه الظروف التي صنعت هذا النّص.

والآن سنبحث في قصيدة **"فاشهدوا"**عن سياقها ودورها في الفهم والتفسير وبعدها الجمالي.

1-المرسل: هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب، وبناء على ذلك فإن صاحب هذه القصيدة هو الشاعر**"مفدي زكريا"** الذي عايش الثورة، فبدا يشيد بتاريخها ومنجزاتها وأبطالها، وكما نجده يتحدى العدوّ المستدمر الغاشم.

ونرى تجسيد ذات الشاعر من خلال استعمال ضمير المتكلم في قوله:

نَحْنُ ثُرْنَا فَحَيَاةٌ أَوْ مَمَاتْ* وَعَقَدْنَا العَزْمَ أنْ تَحْيَا الجَزَائِر**[2]

وفي قوله أيضا:

نَحْنُ جُنْدٌ فِي سَبِيلِ الحَقِّ ثُرْنَا * وإِلى اسْتِقْلاَلِنَا بِالحَرْبِ قُمْنَا**

1- ينظرّ براون ويول، المرجع نفسه، ص50.
2- مفدي زكريا، اللّهب المقدس، ط4،الجزائر، 2000، ص71-72

وأيضا:

نَحْنُ مِنْ أَبْطَالِنَا نَدْفَعُ جُنْدَا * وَعَلَى أَشْلاَئِنَا نَصْنَعُ مَجْدَا**

من خلال ذلك يتمظهر المرسل في القصيدة كذات تختفي وراء اللغة وبالتالي تراه يوظف الألفاظ والمفردات التي لها تأثير على المتلقي والتي تحمل الكثير من المعاني فبذلك يتطلع إلى صناعة نموذج إنساني يحمل كلّ مقوّمات القيادة.

2-المرسل إليه:

هو الطرف الآخر الذي بوجّه إليه المرسل خطابا عمدا فالمتلقي في هذه القصيدة يتوزع بين العدوّ(فرنسا) وجبهة التحرير الوطنية والشعب الجزائري بكلّ فئاته كبارا وصغارا، موزع حسب مقاطع هذه القصيدة وحسب الموقف الذي يتبناه الشاعر.فالقصيدة هنا قد صنعت متلقين متعددين وذلك حسب السياق، وعليه فكل متلقٍ يجد فهمه في القصيدة، ويتجلّى على سبيل المثال في:

يَا فِرَنْسَا قَدْ مَضَى وَقْتُ العِتَابْ * وَطَوْيْنَاهُ كَمَا يُطْوَى الكِتَابُ**

جَبْهَةَ التَحْرِيرِ أَعْطَيْنَاكِ عَهْداَ * وَعَقَدْنَا العَزْمَ أنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ**

فاشهدوا.....

واكْتُبُوهَا بِدِمَاءِ الشُهَدَاء ***واقْرؤُوها لِبنِي الجِيلِ غدَا[1]

فيظهر اختلاف المتلّقي من مقام لآخر حسب ما يقتضيه الحال من (خاطبة للعدوّ وتارة وللجبهة والشعب تارة أخرى).

3-الرّسالة:

الموضوع الذي يتناوله الشاعر في قصيدته فتكون خطابا يوجه المرسل إلى المرسل إليه. قصيدة**"فاشهدوا"** تملك من المقومات اللّغوية والدلالية والتداولية ما يجعلها رسالة حيّة تتوفر على أحداث عملية التواصل فيتمثل الموضوع في القصيدة في عزم الشعب الجزائري ونهوضه وثورته ضدّ عدّوه، وذلك بكل قواه المادية والمعنوية، فهو يعتبر عن إصراره وعزيمته بعد تفجير ثورته، والإشادة بتضحيات شهدائه من أجل الاستقلال وتخليد هذه الثورة المظفرة، وتخلّلت المقاطع توظيف أسلوب القسم ذو البُعد الدّيني وألفاظا تنتمي

1-مفدي زكريا، اللّهب المقدس، ص72.

إلى حقل الحرب والنّار، التي تحمل دلالات كلّها قوّة واشتعال حتى ينسجم الموضوع مع سياقه الثقافي والتاريخي، ونجد ذلك في:

1-القسم:قسما، والدماء، والبنود، ....

2ء-ذكر مواصيف للسلاح والقنابل:النازلات، الماحقات، الحافقات .

3-أورد الشاعر ألفاظا دينية:يوم الحساب- نصعد خلدا-دماء الشهداء.

4-الإطار الزّمكاني:

بالنسبة للزمان فهو سنوات اندلاع ثورة التحرير المباركة 1954-1955-1956 سنة نظم هذه القصيدة والمكان فهو أرض الجزائر التي فجّر أبطالها ثورة الحقّ والنضال.

أنواع السياقات في القصيدة:

من خلال الدراسة التحليلية التي أجريتها ارتأيت إلى استخلاص أهم السياقات الموجودة في قصيدة "فاشهدوا" وإدراجها ضمن المخطط الآتي الذي يمهّد إلى التطبيق الإجرائي الموالي:

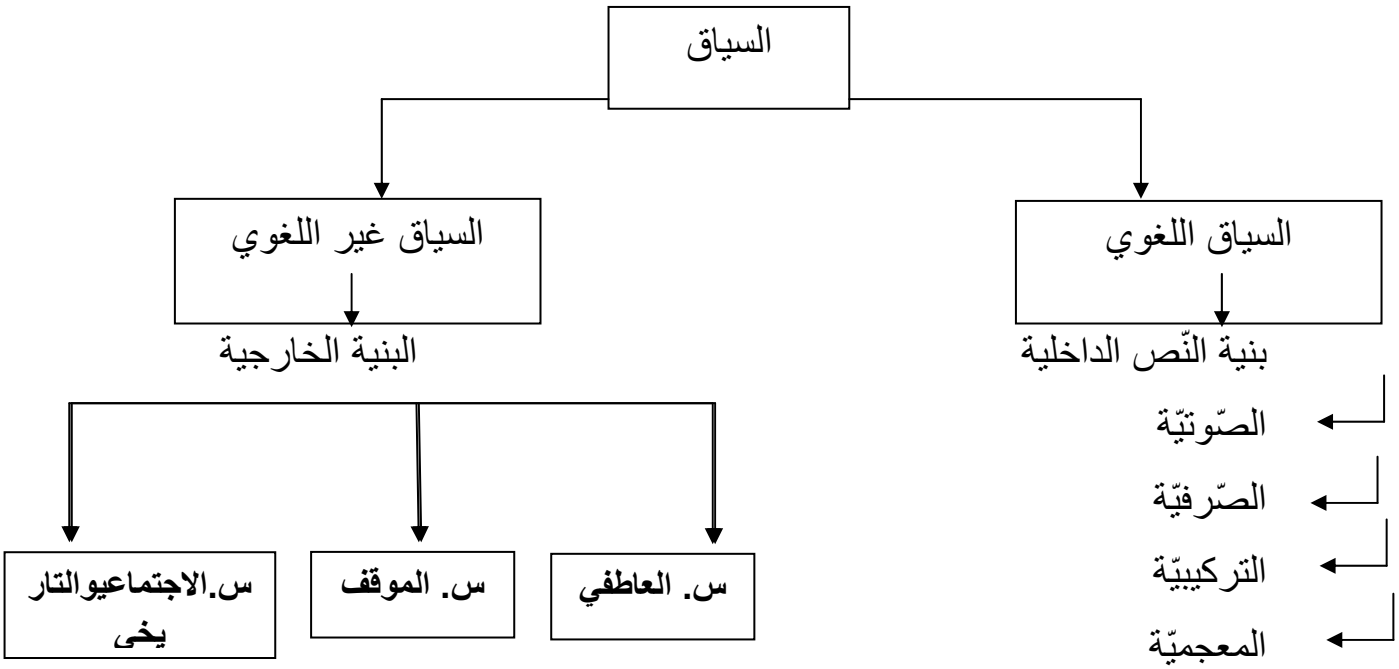

المبحث الثاني:السياق اللغوي-تحليل لغوي(لساني) لوحدات القصيدة

المطلبالأول:البنية السطحية.

نظمت هذه القصيدة في سجن (بربروس) في الزنزانة رقم(69) بتاريخ الخامس والعشرين من أبريل العام ألف وتسع مئة وست وخمسون، و صارت فيما بعد النشيد الوطني الجزائري الرسمي إلى يومنا هذا.

النشيد الوطني عن كثير من دول العالم يمثل النظم البشري الأوجز والأكثر تعبيرا عن هوية البلد ومقومات الشعب، وعن ماضيه وحاضره ومستقبله الذي يرنو إليه.

والنشيد الجزائري يتناغم في مقدمته التي تبدأ كلماته"بالقسم"، كما أنّه يهتم بالثورة التحريرية المباركة، ودعوته إلى نقل مآثرها للأجيال، إلاّ أنهم يأخذون عليه طوله الذي لايضاهيه فيه إلاّ النشيد الفرنسي "لامارسينير"

كما أخذ النقاد على النشيد الوطني خلوه من إشارات صريحة إلى هوية البلد، وإلى مقومات شعبه المتمثلة في الإسلام والعروبة والأمازيغية، على خلاف الأبيات المشهورة التي كتبها إمام النهضة الإصلاحية"عبد الحميد بن باديس" وأشار فيها ان الشعب الجزائري مسلم وإلى العروبة ينتسب، وانّه لم ولن يحيد عن أصله **قسما** أو **قصيدة فاشهدوا** هو النشيد الوطني الجزائري ، بدأ استعماله عام 1963، أي بعد استقلال الجزائر.في أثناء الاستعمار الفرنسي رأي"عتاب رمضان" أنه من الضروري كتابة نشيد خاص للجزائر فتشاور مع مفدي زكريا[1]، ووافق هذا الأخير على كتابة الكلمات فتمت يوم 25 أبريل عام 1956.

وقصّة النشيد الوطني بدأت في 1956، حيث طلب "عبان رمضان" من مفدي زكريا كتابة نشيد وطني يعبّر عن الثورة الجزائرية، وهو من أقوى الأناشيد الوطنية في العالم، وانتقل شاعرنا والذي مات منفيا-(بتونس)- إلى تونس لنشره في صفوف جبهة التحرير وفي العاصمة التونسية قام الموسيقار(علي السرياني) بتلحينه، إلاّ أن اللحن لم يكن في مستوى قوة النشيد وهو ما دفع "مفدي زكريا" –تنفيذا لرغبة"عبان رمضان"- بنقله معه إلى القاهرة لإعادة تلحينه من جديد، وقد تبرع الموسيقار المصري(محمد فوزي) بتلحين النشيد هدّته

1- ينظر :ترجمة مفدي زكريا في الغلاف الأخير لديوان اللّهب المقدس، الجزائر،ط4، 2006، ص71-72

للشعب الجزائري، واقتنعت أخيرا جبهة التحرير باللّحن الجديد واعتبرته قويا وفي مستوى النشيد.

كما طالبت الحكومة الفرنسية بحذف مقطع (يا فرنسا)، لكن المجاهدين الجزائريين رفضوا لأنّها لم تعترف بجرائمها المرتكبة في الجزائر وهو لا يزال مقطعا من النشيد الوطني الرسمي.

يَا فِرَنْسَا قَدْ مَضَى وَقْتُ العِتَابْ ∴ وَطَوَيْنَاهُ كَمَا يُطْوَى الكِتَابْ[1]

يَا فِرَنْسَا إِنَّ ذَا يَوْمُ الحِسَابْ ∴ فَاسْتَعِدِّي وَخُذِي مِنَّا الجَوَابْ

إِنَّ فِي ثَوْرَتِنَا فَصْلُ الخِطَابْ ∴ وَعَقَدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ

فَاشْهَدُوا.....فَاشْهَدُوا.....فَاشْهَدُوا.....

المطلب الثاني:البنية الصوتية للقصيدة.

1/البناءالعَرُوضي:

تقوم الإيقاعات الموسيقية في نصّ القصيدة على تفعيلة واحدة تشكل بحر الرّمل الذي هو من البحور الصّافية، الذي يقوم على تفعيلة واحدة تتكرّر في الشعر العمودي ثلاث مرات في كلّ شطر والذي يستخدم في سياق الانفعال والإصرار وهذا ما تثبته دلالته السياقية واستعماله في قصيدة "فاشهدوا".بتواترها ستِّ مرات في كلّ بيت شعري على النحو الآتي:

قَسَمًا بِالنَّازِلاَتِ المَاحِقَاتِ	وَالدِّمَاءِ الزَّكِيَاتِ الطَّاهِرَاتِ
قاسمن بننازلاتلماحقاتـــي	وددماءززاكياتططاهراتـــي
0/0///0/0/0/ /0/ 0/0///0/	0/0///0/0/0/ /0/ 0///0/0/ 0///0/
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن	فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

بعد التقطيع العروضي لأبيات القصيدة يحصل التضافر الصوتي الداخلي في كلّ تفعيلة بـ:

أ-المقطع التنبيهي: (سبب خفيف): قا – نا- ما – ود – زا- طا

0/ 0/ 0/ 0/ 0/ 0/

ب-أصل التفعيلة:(وتد مجموع): سَمَنْ، زِلَاْ، حِقَا، دِمَا ، كِيَا، هَذَا

0// 0// 0// 0// 0// 0//

1- مفدي زكريا، اللّهب المقدس، ص72

يتضح من خلال هذا التشريح أن أصول التفعيلات هي التي تحمل أكبر حجم إيقاعي في كلّ وحدة موسيقية، كما أن المقطع التنبيهي مشترك مع مقطع الإشباع(بِنْ، تِلْ، ءِزْ، تِطْ) أو مقطع الإطلاق(أن) المتكرّر في نهاية كلّ شطر.

وهذا التناوب الحادث بين الأسباب الخفيفة التنبيهية والمطلقة وأواخر الأشطر نلاحظ تزايد الشحنات العاطفية تفعيلات النّص تتضافر خارجيا في كلّ بيت على النحو التالي:

فاعلاتنفاعلاتنفاعلاتنفاعلاتنفاعلاتنفاعلاتن

وفي هذا التناوب المتناسق بين التفعيلات نجد تكرارا للوحدات نفسها دلالة على الإصراروالتنويع بين ثقل الإيقاع وخفته يكون أجلب للسامع وأدعى لانتباهه وطربه.كما نلاحظ بعض التغييرات التي طرأت على تفعيلات القصيدة من خلال التقطيع العروضي والتي شملت العلة التي تلحق الضرب*1 والعروض*2.

في البيت الشعري ولعلّ أهمها الحذف*3 ، الذي رصدناه من خلال الكتابة العروضية كالآتي:

صَرْخَةُ الأَوْطَانِ مِنْ سَاحِ الغِدَا فَاسْمَعُوهَا وَاسْتَجِيْبُوا لِلْنِّدَا [1]

صَرْخَتُلْأَوْطَانِ مِنْ سَاْجِ لْغِدَاْ فَسْمَعُوْهَاْ وَسْتَجِيْبُوْلِنْنِدَاْ

0//0/ 0/0//0/ 0/0//0/ 0//0/0/ 0/0//0/ 0/0//0/

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

علّة الحذف علّة الحذف

وفي قوله:

وَاكْتُبُوْهَا بِدِمَاءِ الشُّهَدَا وَاقْرَأُوهَا لِبَنِي الجِيلَ غَدَا[2].

وَكْتُبُوْهَاْ بِيْ دِمَاْءِ شْشُوْهَدَاْوَقْرَؤُوهَاْ لِيْ بَنِجِبْلِيْ غَدَاْ

0// 0/0///0/ 0/0//0/ 0//0/0/0//0/ 0/0//0/

فاعلاتن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلن

علّة حذف علّةحذف

1،2- مفدي زكريا، اللّهب المقدس، مرجع سابق، ص71-72

وكذا في اللاّزمة المتكرّرة(فَاشْهَدُوا)

0//0/

فاعلن ⟸ علّة الحذف

وكذلك نوع من الزَحَافَاتِ* الذي يصيب تفعيلات بحر الرمل و هو الخبن (أي حذف الثاني الساكن من التفعيلة)[1]

في قول الشاعر:

قَدْ مَدَدْنَا لَكَ يَا مَجْدُ يَدَا وَ عَقَدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ[2]

قد مددنا لك يا مجدو يدا و اعقدنلعزم أن تحيلجزائر

0// 0/ 0 / 0/ / /0/0//0/ 0/0//0/0//0/0/0//0 /

فاعلاتن فعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

زحاف الخبن علة الحذف

و بهذا يكون العروضي أول نقطة في البنية الإيقاعية للقصيدة التي لعل ما يميزها هو البناء الصوتي و دلالة إيحائية.

2/بنية الصوت في القصيدة:

قبل دراسة الأصوات في وحدات النص، لا بدّ من الإشارة إلى قضايا أساسية في دراسة الصوت اللغوي، نجملها في النقاط الآتية:

أ- العلاقة بين الصوت و المعنى ليست مباشرة، لأنها تخضع لقواعد اللغة التي تتسم بالتعقيد في تضافرها.[3]

ب- ما يتكرر من أصوات في النصوص الأدبية غالبا ما يكون ذا قيمة فنية إبداعية.[4]

*الزّحاف يصيب الحشو من البيت الشعري غير العلة التي تصيب الضرب و العروض أي آخر تفعيلة من الشطر.

[1]- إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض و القافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، م1، الطبعة 1، بيروت، 1991، ص102.

[2]- مفدي زكريا ، اللهب المقدّس، ص 72.

[3]- رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 53.

[4]- المرجع نفسه، ص 53.

ت- قيمة النص مسموعا تكون أكبر من قيمته مكتوبا، لأنه أكثر تأثيرا على سامعه من قارئه، و حمل رؤية صاحبه من جهة أخرى، و هي غايات النص الأدبي، ذلك إن تقاليد السماع و تقاليد الكتابة جعلت المسموع أكثر أهمية من المنظور.[1]

و في هذه المحاولة تحدده العلاقة بين بعض الأصوات المتواترة في النص و المعنى العام له من خلال عرضها مع صفاتها التي حددها علماء الأصوات، و هو تحديد الكلمات أو الجمل ذات الأهمية في النص.

إذ أن الصوت اللغوي هو أصغر وحدة منطوقة مسموعة يمكن الوصول إليها عند التحليل اللغوي، و لا يمكن النطق بها من خلال مقطع يكون فيه الصامت مصحوبا بالصائت، أو الصامت مصحوبا بالصامت[2]

و للصوت اللغوي صفات و مخارج *أتناول في هذا المقام جزئيات فقط متعلقة بالصفات، و التمثيل عليها، و تبيين مدى شيوعها في قصيدة **"فاشهدوا"**

و من بين الأصوات الأكثر تواترا فيها نجد: حرف **القاف** و **الدال** و **العين**.

1/الصوت الانفجاري(الشديد):

نلاحظ أن الأصوات الانفجارية قد سيطرت على جلّ الوحدات الشعرية للنشيد الوطني، و ذلك من خلال شيوعها و تكرارها بين الحين و الآخر.

و من الصوامت الانفجارية المعبّرة عن هذه الظاهرة اللغوية على سبيل المثال لا الحصر تواتر **حرف القاف** الذي يتصف بأنه: صوت لهوي، انفجاري، مجهور، يتكون بارتفاع أقصى اللسان إلى اللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف، بعد ضغط الهواء، بخفض أقصى اللسان فجأة ليندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا دون تذبذب الوترين الصوتيين.*

و قد تواتر في النشيد الوطني سبعة عشر(17)، أحدث قلقلة قوية لا يتصف بها إلا هذا الحرف. بالإضافة إلى وجود صوامت انفجارية أخرى و هي (**الباء** و**التاء**

[1]- تمام حسن، اللغة العربية مبناها و معناها، الهيئة المصرية للكتاب، 1979، ص46.

[2]- صبري المتولي، دراسات في علم الأصوات، الأصول النظرية و الدراسات التطبيقية لعلم التجويد القرآني، زهراء الشرق، مصر، ط1، 2006، ص 29.

*"المخرج هو المقطع الذي ينتهي(يخرج) عنده الصوت" ينظر الكتاب، لسبويه.

*صفات الحروف أو خصائصها تختلف فهي ليست من طبيعة واحدة كالجهر و الهمس و الشدة و الرخاوة...

و**الهمزة)**، مما ساعد حرف **القاف** على تأدية معناه الطبيعي، و الذي يدل في أغلب الأحيان على القوة و التأكيد و خاصة أنه ارتبط بالقسم، حيث المقام يستوجب ذلك بالإضافة إلى أن القاف قد ولد جرسا موسيقيا قويا، "إذ الجرس هو نغمة الصوت الإنساني، أي هو تنغيم قصدي في أجهزة النطق، لإضفاء قيمة تعبيرية للكلام تتحول إلى قيمة تتحكم في دلالة الصوت و مؤداه المعنوي"[1]

2-الصوت الانفجاري و الصوت الاحتكاكي:

يعد (**الدال**) من الأصوات الانفجارية، و هو النظير المجهور لحرف (**التاء**) ويتكون الصوت الانفجاري"بأن ينحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، و ينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا"[2]

كما أنه يربط بين الصوت الانفجاري و الصوت الاحتكاكي أو الرخو، و ذلك لنبين العلاقة أو الدلالة التي يؤديها الصوتان عند التقائهما في موضع أو في بيت واحد بل وفي كلمة واحدة.

و يتكرر هذا (**الدال**) المجهور، الانفجاري الشديد الذي يحدث (قلقلة) ثلاثة وثلاثين(33) مرة في الوحدات الخمس للقصيدة، ليحمل إلى المتلقي شدّة انفعال المتكلم و اندفاعه و حجم غضبه، و قد تتضح هذه الدلالة أكثر في الوحدة الرابعة، ليعرف المتلقي مدى قوة العاطفة من خلال شدة (الدال) و انفجاره، بتواتره تسع (9) مرات على النحو التالي:

نَحْنُ مِنْ أَبْطَالِنَا نَدْفَعُ جُنْدَا*** وَ عَلَى أَشْلاَئِنَا نَصْنَعُ مَجْدَا

وَ عَلَى أَرْوَاحِنَا نَصْعَدُ خُلْدَا *** وَ عَلَى هَامَاتِنَا نَرْفَعُ بُنْدَا

جَبْهَةَ التَحْرِيرِ أَعْطَيْنَاكِ عَهْدَا *** وَ عَقَدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ

فَاشْهَدُوا....

فقد التزم بإيراد الدال في كل نهاية رسالة جزئية ضمن هذه الوحدة لتكون أبلغ في الشدة، و أحمل على التصديق، و هو غرض الأسلوب الخبري الذي عرضت عليه الرسالة.

[1]- ماهر مهدي هلال، رؤى بلاغية في النقد و الأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2006، (د ط)، ص 185.

[2]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص176.

ثم يكون ذلك أشد في الوحدة التي تليها أي –الوحدة الخامسة- حين يقدم صرخة وطنه في ساح الفدا للمتلقي، و هي صورة تتأجج قوة و عزما، و تتقد حماسة و شدة ويتواتر (الدال) أيضا اثنتا عشر(12) مرة على النحو الآتي في قول مفدي زكريا:

صَرْخَةُ الأَوْطَانِ مِنْ سَاحِ الفِدَا*** فَاسْمَعُوهَا وَاسْتَجِيبُوا لِلنِدَا

وَ اكْتُبُوهَا بِدِمَاءِ الشُهَدَاء *** وَ اقْرَأوهَا لِبَنِي الجِيلِ غَدَا

قَدْ مَدَدْنَا لَكَ يَا مَجْدُ يَدَا *** وَ عَقَدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ

فَاشْهَدُوا....

و هذه الدّلالة تختص بها الوحدتان، الرابعة و الخامسة من القصيدة في تكرار (الدال) في رسالتها الجزئية، تلتزم بها نهاية كل الوحدات الشعرية في لفظ، و اللازمة فاشهدوا للغرض الأسلوبي نفسه.

3-الصوت الاحتكاكي:

يعتبر حرف **(العين)** من الحروف الاحتكاكية التي:"تتكون بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين موضع من المواضع، بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا"[1]، فهو صوت حلقي، احتكاكي مجهور، و قد تواتر أربعا و عشرين (24) في مجموع الوحدات الشعرية من النشيد الوطني.

نجد حرف العين تواتر في الوحدة الرابعة من القصيدة إحدى عشرة (11) مرة إذ يقول مفدي زكريا:

نَحْنُ مِنْ أَبْطَالِنَا نَـدْ فَعُ جُنْدَا *** وَعَلَى أَشْلاَئِنَا نَصْنَعُ مَجْدَا

وَ عَلَى أَرْوَاحِنَا نَصْعَـدُ خُلْـدَا*** وَعَلَى هَامَاتِنَا نَرْفَعُ بُنْـدَا

جَبْهَةَ التَحْرِيرِ أَعْطَيْنَاكِ عَهْدَا *** وَعَقَـدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِرْ

فَاشْهَـدُ وا.... فَاشْهَدُوا... فَاشْهَدُوا....

روعة التكرار لفت الانتباه و ما جره حرف العين من دلالة عميقة للسامع، توزع في كامل الأشطر في البداية و الوسط و النهاية، ليؤدي كثافة انفعالية حماسية في الوحدة الشعرية، فهو خطاب موجه للمخاطب (فرنسا) جمعت في قوله: نحن ندفع جندا ونصنع خلدا، و نرفع بندا.

[1]- ينظر: أحمد مختار عمر، دراسات الصوت اللغوي، عالم الكتب، مصر، ط2، 1981، ص 118.

ليتحول المخاطب بأسلوب الالتفات إلى نداء بصيغة المؤنث موجه للمخاطب الثاني و هي (جبهة التحرير) في قوله: (أعطيناك عهدا).

"إنّ هذه المعاني الصوتية تتضافر مع باقي الدلالات لزيادة شحنة الإصرار والتشبث التي تحملها اللازمة **(و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر) (فاشهدوا...فاشهدوا...فاشهدوا...)** حيث تحظى هذه اللازمة المستأنفة بكل أصوات الشدة و الجهر، و يخدم تكرارها في كل وحدة، ما يفضي به الشاعر من تكرار اللازمة نفسها عقب كل وحدة شعرية"[1].

فقد استعان الشاعر بظاهرة التكرار الصوتي، و هي ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها المتكلم لتثبيت ما يريده في ذهن السامع و إزالة ما يتوهمه من احتمالات.

المطلب3: البنية التركيبية للقصيدة:

1-بنية جملة الفعل الماضي: تشترك الوحدات الشعرية جميعا في لازمة الاستئناف**(و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر)** و (الجملة فَاشْهَدُوا) و هي تركيب مكون من جملتين الأولى جملة مركبة و الثانية جملة بسيطة.

أ- جملة فعلية مركبة(فعلها ماض):

حرف استئناف + فعل ماض+ فاعل ضمير متصل+ مفعول به أول+ حرف مصدري+ فعل

و عقد نا العزم أن

مضارع+ فاعل والجملة الفعلية البسيطة في محل نصب م به ثان.

تحيا الجزائر أن تحيا الجزائر

ب-جملة فعلية بسيطة (فعلها أمر):

حرف عطف +فعل أمر + ضمير الفاعل

ف اشهد وا

⟸ تتكرر هذه اللازمة في كل نهاية وحدة شعرية، ودلالة هذا التكرار هي إبداء إصرار الشاعر (المتكلم) وتأكيده على بلوغ رسالة إلى (المتلقي) فهذا التضافر الزماني بين

[1]- ينظر: الطاهر لحواو- براهيمي حسناء، دراسة أسلوبية الجوانب من النشيد الوطني(قسما)، مذكرة مكملة لنيل شهادة ليسانس في علوم اللغة، 2005/2004، جامعة المسيلة، ص 24.

الفعل الماضي(عقد) والفعل المضارع(تحيا) أدى إلى تضافر على مستوى البنيتين العميقة والسطحية للازمتين.

ويقول في موضع آخر والمواضع كثيرة:

فاتخذنا رنة البارود وزنا ... وعزفنا نغمة الرّشاش لحنا

وبإعادة قوالب التراكيب نفسها بعناصرها النحوية دلالة على التوكيد والإصرار حيث يحتفظ المتكلم بمحور التوزيع للجملة.

ف	اتخذ	نا	رنة	البارود	وزنا
و	عزف	نا	نغمة	الرشاش	لحنا
عاطف	فعل ماض	ضمير فاعل	م به أوّل	مضاف إليه	م به ثان

* يصيب مفدي زكريا في كل مرة (دوال) لفظية مختلفة فينسجم مع هذا القالب النحوي ويكون ذلك أدعى إلى الاهتمام على النحو الآتي:

يَا فِرنسَا إنَّ ذَا يومُ الحسَاب * فاستعدِّي و خُذِي منَّا الجَوَاب**

وردت الجملة الأولى بسيطة مسبوقة بحرف تحقيق (**قد**)و نداء قبله، ليكون أضمن لالتفات المتلقي و انتباهه إلى الرسالة و التي هي:

(قد مضى وقت العتاب) و يعطف بجملة **(و طويناه)**.

و في هذين الفعلين إصرار آخر و من المتكلم و كثافة عاطفية غرضها البلاغي تيئيس المتلقي (فرنسا) و من أطماعه (قد مضى- طويناه).

- "و في الوحدة الرابعة من القصيدة وردت جملة الفعل الماضي:

(**أعطيناك عهدا**)بعد نداء جبهة التحرير قريبة منهم، و قد أعطوه عهدا، و مضى ذلك وفات حصوله[1]

- كذلك بالنسبة إلى جملة الوحدة الخامسة من القصيدة (**قد مددنا لك يا مجد يدا**) فقد مدت أيديهم إلى المجد لأخذه، و يؤكد حصول الفعل و تحقيقه بالحرف (**قد**) و في هاتين الجملتين: (**أعطيناك عهدا**) (**قد مددنا لك يا مجد يدا**)

و ذلك لأجل تحسيس المتلقي بصدق حصول هذه الأفعال، و تأكده منه، و هو الجانب العاطفي الذي تحمله تبنى جملة الفعل الماضي في هذا النص"2

1و2 – الطّاهر لحواو، المرجع السابق، ص28

2/بنية جملة الفعل المضارع:

لم تتواتر جملة الفعل المضارع كثيرا على نحو الجملة السابقة، غير أنها تكررت مثلها في اللازمة الاستثنائية، و هي جملة بسيطة (**تحيا الجزائر**) تتركب من فعل وفاعل

ف فا

في الجملة المركبة المتمثلة في اللازمة الاستثنائية، و تكرر في نهاية كل وحدة شعرية باقتران الفعل المضارع بالحرف المصدري (**أن**)، يتكون الباب النحوي الذي تشغله (**مصدرا**)، يمكن أن الشاعر عدل عن التعبير بالمصدر إلى التعبير بالفعل ليكسبه حركة ويعين له زمنا يبدأ من الحاضر، و هو ما يتطلبه مقام الخطاب حركة و زمن.

و في الوحدة الثالثة من القصيدة تمثل جملة الفعل المضارع هذا التركيب: (**و طويناه كما يطوى الكتاب**) و جملة المضارع وقعت هنا صلة لا محل لها من الإعراب في عرف النحويين لأن ⟸ ما: اسم موصول في محل نصب مفعول به إلاّ أنّها من الناحية التواصلية تحمل دلاله الجملة السابقة (وطويناه) وتوضحها للمتلقي، فقد يكون المتلقي(فرنسا) شاكا في (مضى وقت العتاب)، وفي الثوار له، فقدم له المتكلم (مفدي زكريا) صورة ذلك بفعل مضارع يشرح له الحدث، ففي جملة المضارع تضافر داخلي بين البُنى النحوية.

وتتميز الوحدة الرابعة من القصيدة بتناسق جميل لجملة المضارع تميزها عن باقي وحدات النّص في قوله:[1]

نَحنُ منْ أبطالِنا ندْفعُجُنْدَا *** وعلَى أشْلائِنَا نصْنعُ مَجْدَا

وعلَى أَرْواحِنَا نصِعَدُخلدَا*** وعلَى هَامَاتِنا نَرْفعُ بنْدَا

⟸ تشترك هذه البنيات الجزئية جميعا في بناء نحوي واحد من:

-**مبتدأ** ضمير ⟵ متصل لجملة المتكلمين

- **شبه جملة** ⟵ من جار ومجرور متعلق بفعل الخبر مقدّم

- خبر ⟵ جملة فعلية مهملة في (ندفع، نصنع، نصعد، نرفع)

3-بناء جملة فعل الأمر:

تنوع هذه الجملة بين الوحدتين الثالثة والخامسة:

1- مفدي زكريا، اللّهب المقدس، ص 72

- **في الوحدة الثالثة:**يمثلفعل الأمر في قول الشاعر:

يَا فِرَنْسَا إِنَّ ذَا يَوْمُ الحِسَابْ ... فَاسْتَعِدّي وَخُذِي مِنَّا الجَوَابْ

جملة فعل الأمر الأولى(فاستعدي) وردت استئناف بعد نداء وتقرير، وعطفت عليها الثانية، تتقاطع هذه العناصر بالشكل الآتي:

-مركب نداء (حرف نداء+منادى)=يا فرنسا

-جملة(تقرير):حرف مشبه بالفعل+اسمه+خبره=إنّ +ذا+ يوم الحساب

-جملة الأمر الأول(استئناف):حرف استئناف+فعلالأمر+مفعول به

ف خذي منا الجواب

والاستئناف بالفاء يفيد الترتيب والتعقيب ولا يترك المتكلم زمنا للمتلقي بعد إرسال الخبر الأول: فرنسا- إن ذا يوم الحساب- فاستعدي.....وخذي

فكل هذه البنى الجزئية تفيد بنية واحدة هي:(خذي منا الجواب) وإرسال الرسالة بفعل الأمر حرصا من المتكلم على تلقيها في الحال وتأكيد استجابة المتلقي لها.

- **في الوحدة الخامسة:** يمثل فعل الأمر فيها قول الشاعر:

صَرْخَةُ الأَوْطَانِ مِنْ سَاحِ الفِدَا ... اسْمَعُوهَا واسْتَجِيْبُوا لِلْنِدَا

وَاكْتُبُوهَا بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ... وَاقْرَؤُوهَا لِبَنِي الجِيْلِ غَدَا

يتحول المتكلم في هذه الوحدة إلى مخاطب آخر وهو (جمع الذكور) فبعد أن يبتدئ بجملة يعرض فيها صرخة الأوطان، ومكان وجودها (سلاح الفدا)، يعطف عليها بجملة الأمر(اسمعوها، استجيبوا، اكتبوها، اقرؤوها)

*(اسمعوها واستجيبوا) تدل على اقتضاء السمع والاستجابة، وهو ما يطلبه المتكلم من المتلقي.

*(اكتبوها واقرؤوها) تدل الكتابة على تقييد الحفظ والاطلاع، ويقتضي ذلك قراءتها وهو طلب المتكلم أيضا، هذا إلى جانب العطف بين الأفعال مرتبة يلزم بسماعهم ثمّ الاستجابة ثمّ الكتابة ثم القراءة، وهي آخر مطلب لديه، وربّما تكون هذه الأفعال بهذا الترتيب مراحل هذه الثورة التي أنطقت الشاعر بمراحل فعلية(فعل الأمر) أشبه بمراحلها.

* وفي الجملة الاستئنافية جملة الأمر المكرّر عقب كلّ وحدة (فاشهدوا) لخطاب جمع الذكور دون أن يحدده، وتحمل دلالة التأكيد والإصرار، والتذكير بذلك حين تكرر في كلّ نهاية وحدة شعرية من النّص.

فالوظيفة التواصلية لجملة (فاشهدوا) لم تعد الإلزام بفعل الشهادة كما يبدو من صيغة الفعل، إنّما تعدتها إلى وظيفة أخرى حين كرر جهد الشكل، وهي الوظيفة التنبيهية التي تحفظ سلامة قناة الاتصال بين المتكلم والمخاطب، إلى تكرار عبارة ما أو لفظ ما، عقب كلّ وحدة كلامية ليؤكد رسالته أوّلا، ويضمن وصولها والتفات السامع إليها ثانيا، على نحو ما ورد من تكرار عبارة(اللّهم هل بلغت اللّهم فاشهد).في خطبة حجّة الوداع للرّسول صلى الله عليه وسلم.

4/بناء شبه الجملة:

يظهر هذا البناء في الوحدة الرابعة من القصيدة، والتي استخرجنا من تواتر الجملة الفعلية، حيث قدم الشاعر شبه الجملة المتعلقة بالفعل في كلّ مرّة، لكي يعرف المتلقي بما يجهله:

ف(نحن) ندفع جندا –إلى الحروب- من أبطالنا

و(نحن) نضع مجدا – إلى الحروب- على أشلائنا

و(نحن) نصعد خلدا- إلى الحروب- على أرواحنا

و(نحن) نرفع بندا- إلى الحروب- على هاماتنا

وهذه هي البنية الأصلية والتركيب المحذوف لها، وتقديم المجهول لدى المتلقي يكون أحرص على تلقي الرّسالة كاملة مستعينا في ذلك بتقنية التقديم والتأخير في بناء المعنى وتوصيله للمتلقي في قالب جاهز ومفهوم، ونشير إلى عناصر البناء النحوي بهذه الأجزاء.

مبتدأ مشترك	جار ومجرور	ضمير متكلم م إليه	فعل مضارع	مفعول به
نحن	من أبطل-على أشلاء- على أرواح-على هامات	نا	نرفع- نضع- نصعد- نرفع	جندا-مجدا خلدا- بندا

هذا التقديم والتأخير لشبه الجملة له خلفية سياقية مقامية وجيهة حيث أنّ الدلالة هنا تُبنى على أهمية ما قُدّم ورغبة الشاعر في إيصاله وتأكيده لدى المتلقي الجاهل به أو المتغاضي عنه، دلالة تأكيداته إيحائية.وهذا ما يرتبط مباشرة بالبنية البلاغية للقصيدة التي تحمل عدّة مقومات أهمّها الرّموز والصور البيانية التي كان السياق هو المتحكم فيها كالآتي:

5-المنحى البلاغي:

الرّمز:

يعتبر الرمز خاصية بارزة في النصوص الأدبية وهو إحدى الوسائل التي يستخدمها الأديب أو الشاعر لتحقيق غاية جمالية معيّنة، كما يعبّر الرّمز عن الأغراض النفسية للشاعر وهو وثيق الصلة بالدلالة فهو يتسم بالغموض الذي يعطي بدوره بُعدا جماليا يؤثر في القارئ، ويشكل الرّمز في الأعمال الشعرية معلما يدل على القدرة التعبيرية التي يرمي من خلالها الشاعر إلى جعل القارئ يتجاوب مع النّص دلالته ومن ثمّ يحقق المبدع غايته التواصلية التأثيرية والرّمز الأدبي هو تركيب لقائي يستلزم مستوى الصورة الحسّية التي تأخذ قالبا للرّمز ومستوى الحالات المعنوية التي يرمز إليها بهذه الصورة الحيّة[1].

1-الرّمز التاريخي:

وظّفه الشاعر مفدي زكريا، إذ أنّه أشار إلى الملحمة التاريخية لثورة نوفمبر المظفرة ويتضّح هذا من خلال العبارات الموجودة في النّص الشعري في قصيدة "فاشهدو"

نَحْنُ ثُرْنَا فَحَياةٍ أوْ ممَات.....

والبُنُودُ اللاَّمِعَاتُ الخَافِقَاتُ .... فِي الجِبَالِ الشَاهِقَاتْ

نَحْنُ جُنْدٌ فِي سَبِلِ الحَقِّ ثُرْنَا..... وإِلَى اسْتِقْلاَلِنَا بالحَرْبِ قُمْنَا[2]

توظيف الخيال في القصيدة:

بعد قراءة القصيدة تمكنا من استخراج أهم الصور وتحديد دلالاتها وذلك من خلال الموضوع الذي حوته القصيدة، من بينها الاستعارات والكنايات والمجاز بأنواعه.

[1]- الكندي علي محمد، القناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2003، ص54.

[2]- مفدي زكريا، ابن تومرت(شاعر الثورة)-اللّهب المقدس، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط6، 2006، ص 71-72

أ- الإستعارة:

فالاستعارة قد تواترت بكثرة من بداية القصيدة إلى نهايتها، وهي في الاصطلاح:"مجاز لغوي علاقة مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي"[1].وهي نوعان المكنية والتصريحية ويمكن أن نذكر جملة من الاستعارات التي تم إحصاؤها في القصيدة من

خلال الجدول الآتي:

الاستعارة	نوعها	دلالتها
"فاتخذنا رنة البارود وزنا"	مكنية	دلالتها على قوة الثورة والكفاح المسلح
"وعزمنا نغمة الرّشاش لحنا"	مكنية	ودلالة على التحدي والتحكم في الثورة
"صرخة الأوطان"	مكنية	دلالة على مدى عذاب الجزائريين
"واكتبوها بدماء الشهداء"	مكنية	دلالة على التضحيات
"قد مددنا لك يا مجد يدا"		دلالة على مجد وخلود ثورة الأبطال إلى الأبد

نلاحظ من خلال الاستعارات في النّص الشعري أنّ الشاعر قد اعتمد توظيف الاستعارة لتصوير المعاني الدالة على معاناة الأمة والشعب الجزائري وتجسيد مشاعره بشكل كبير ممّا يجعل القارئ يعيش جو جميل دلاليا، كما دلّت في الوقت ذاته على البراعة اللّغوية للشاعر.

ب-الكناية:

ثمة أسلوب آخر من أساليب التعبير الفني في العربية وقد انطلق البلاغيون في كشفهم عن فنية هذا الأسلوب، وهو عندهم "أي يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللّفظ الموضوع في اللّغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفده في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلا عليه"[2] .

[1]- الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1992، ص59.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص105

ومعنى ذلك أن التواصل المروم إبلاغه يكون عبر وسائط ينتقل من خلالها الذهن لكي يدرك مراد المنشئ .

الكناية هي بمثابة أدلة ممهدة للحكم القائم ولهذا قال عبد القاهر الجرجاني:"أمّا الكناية فإنّ السبب في أركان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كلّ عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها هو شاهد في وجودها"[1] .

ومعنى ذلك من التعريفين للكناية هي التلميح إلى المعنى وعدم التصريح به، وذكر معنى آخر ينوب عنه، فالكناية هي المعنى أو الحال أو الصورة المنبثقة عن الأصل أو عن محرّك أساسي لولا وجود لما وجد هذا المعنى وهذا الحال.

استعمل "مفدي زكريا" الكناية ليعبر بها عن صفات مادية ومعنوية كصفة اللاّمبالاة بالحركة الوطنية السياسية قبل الثورة، في قوله:" لَمْ يَكُنْ يُصْغَى لَنَا، لما نَطَقْنَا...."

والكناية عن انتهاء العمل السياسي والانتقال إلى الكفاح الثوري المسلح في قوله :

(مَضَى وَقْتُ العِتَاب).

كما استخدم عبارة (إنّ ذا يَوْمُ الحِسَابْ....فَاسْعَدي) كناية عن قيام ثورة التحرير التي تعتبر نهاية الاستعمار الغاشم ويوم قيامته، واستخدمت للوعيد بالنهاية القريبة.

وبهذا تكون الصورة الشعرية مقوّما أساسيا من مقوّمات الإبداع الشعري، فهي تقرّب بين حقيقتين متباعدتين، وينبغي على المتلقي أن ينظر إلى موقع الجمع في السياق العام وما يمكن لهذه العلاقة الجديدة المستحدثة أن تولده من إيحاءات ومدلولات نابعة من قلب السياق أو المقام الذي انطلق منه الشاعر في نظم أبياته.

المطلب 4:البنية الصرفية المورفولوجية للقصيدة:

يطلق الدّارسون المحدثون على هذا الدّرس مصطلح المورفولوجيا"Morpholojya" وهو يشير عادة إلى دراسة الوحدات الصّرفية أي المورفيمات"Morphemes" دون أن يتطرّق إلى مسائل التركيب النحوي"Syntaxe" وتأتي الأسلوبية متقفية الكلمات الظاهرة في النّص، وهي التي لها قابلية الاستحواذ على معالم النص، وبالتالي الدلالة.

[1]- المرجع السابق، ص 106

أ- **بينةالأفعال:**توزّعت الأفعال بين أزمنة الفعل الثلاث، وتواترت بنسب متفاوتةودلت كلّ واحدة على حالة من حالات الثورة:

- **الفعل الماضي:** ثرنا- عقدنا- قمنا- نطقنا- اتخذنا
- **الفعل المضارع:**تحيا- ندفع- يكن- نضع- نصعد
- **الفعل الأمر:**اشهدوا- استعدي- خذي- اسمعوها- اقرؤوها

تبدو الأفعال جميعها دالة على الإرادة المعدّة والتوكّل والعزيمة، ونبذ المستعمر الفرنسي جملة وتفصيلا اختارها شاعرنا متأثرا بمقام تاريخي محض وحالة شعورية خاصة، جاءت تصوّر وقع اللّحظة تصويرا يتمّ عن معايشة الشاعر لتلك اللّحظة.

ب-بنية الأسماء:

تواترت بنسبة كبيرة فائقة الأفعال، لأن الشاعر أخذته هالة أحوال الثورة وعظمتها.

1-بناء الأسماء الجامدة:

ومنها ما يدل على **ذات**: مثل: الجزائر، فرنسا، أبطال، الجبال، البارود، جبهة، سلاح أشلاء.ومنها ما هو **معنوي** مثل: الحق، الحرب، لحن، النصر، بند، الفدا، التحرير.

2-بناء الأسماء المشتقة:[الصيغ الاشتقاقية]

أ-اسم الفاعل: تتواتر صيغة اسم الفاعل بشكل لافت للانتباه في القصيدة مثل: النّازلات- الماحقات- الزّاكيات- الطّاهرات- الخافقات- الشامخات- الشاهقات، فاسم الفاعل يحمل دلالات الفعل أي القيام والحركة التي يدفعها المقام طبعا.

ب-صيغة المبالغة:

في النّص ذكرت صيغة المبالغة في قوله (وعزفنا نغمة الرّشاش)

جاءت الصيغة باسم الآلة (رشّاش) من الفعل (رشَّ) للمبالغة في (الرّش) على زون فعّال فهذه الصيغة التي بدورها مشتقة من اسم الفاعل تحمل دلالة الحركة والفعل والتصوير أيضا.

ولو تمعنّا في الأسماء لوجدنا أن أكثرها يعبّر عن مظاهر الثورة، وبالتالي فالمقام شدّة ومن هنا نجد تناسقا بين الأصوات المفردة والكلمات، إذ كلاهما يُحاكي أمرا شديدا.

المطلب 5:البنية المعجمية للقصيدة: -الدلالية-

تكثر الحقول المعجمية الفنية في قصيدة "فاشهدو" يمكننا تحديد أهمّها في مايلي:

1-حقل العزم والإصرار:وتمثله الألفاظ الآتية: قسما- فحياة أو ممات- عقدنا العزم، إن ذا يوم الحساب، أعطيناك عهدا، قد مددنا يا مجد يدا....

2-حقل الثورة:وتمثله ألفاظ"

النازلات- الماحقات- الحرب- البنود-اللاّمعات-الجبال – الشامخات- نحن ثرنا- جند- رنّة البارود- نغمة الرّشاش- صرخة الأوطان.

3-**حقل التحدي والمواجهة:**

يا فرنسا – مضى وقت العتاب – ذا يوم الحساب – استعدي وخذي منا الجواب ...

4-حقل التضحية: وتمثله الألفاظ الآتية:

الدماء – في سبيل الحق ثرنا – على أشلائنا نصنع مجدا – على أرواحنا نصعد خلدا- وعلى هاماتنا نرفع بندا- اكتبوها بدماء الشهداء.

5- حقل الحثّ على حفظ التاريخ وصونه: يتمثل في ألفاظ:

اسمعوها- اكتبوها- استجيبوا للندا....

فبتحليلنا لهذه الحقول المعجمية نتوصل إلى أنّ المعجم الشعري لهذه القصيدة يكوّن علاقات دلالية تتضافر جميعا لتخصيص وحدة لغوية متماسكة لهذه القصيدة، يتحكم فيها السياق - الخارجي، الخاضعة له، بيان دلالي يمنحها القدرة على التركيب اللغوي وفق أنظمة اللغة طبقا.

هذه الوحدات المعجمية تشترك في علاقات أفقية وعمودية دلالية لإنتاج المعنى السياقي العام للتركيب، والمراد إيصاله للمتلقي .

2- الإيحاء: -المعجم الشعري-

"يعتبر الإيحاء لعبة لغوية يسلكها المبدع لكي يؤثر في المتلقي بالدّرجة الأولى لكي يتوصل إلى الهدف الذي يسعى إليه، وذلك من خلال التعبير عن أغراضه النفسية بأسلوب غير مباشر لأن هذه الأغراض لا يمكن للغة أن تؤديها".

وقد استخدم الشاعر من الألفاظ الموجبة التي ساهمت إلى حدّ كبير في إثراء موضوع القصيدة وانسجام أبياتها من حيث ترابط المعاني واتساقها، كما دلّت على الحالة النفسية للشاعر، فاللّغة الشعرية لغة إيحائية تحفل كثيرا بكلمات ذات الدلالة، وسنحاول استخراج بعض الألفاظ وتحديد دلالاتها من خلال الجدول الآتي:

الكلمة	دلالتها الإيحائية
النازلات – الماحقات	دلالة على قوة الثورة واشتعال نارها
البنود اللاّمعات	دلالة على الإصرار وشيوع وشهرة الثورة الجزائرية
نطقنا	دلالة على العمل السياسي والحركة الوطنية قبل 1954
يوم الحساب	دلالة على نهاية زمن الذل والاستعباد
	اليوم الآخر في زمن العبودية
أشلائنا	دلالة على التضحيات بالروح والدّم
عهدا	دلالة على النظام والوفاء
فاشهدوا	دلالة على التخليد وعدم النسيان
اكتبوها	دلالة على حفظ التاريخ لهذه الثورة
الفدا	دلالة على التضحيات

استمّد الشاعر مادته اللّغوية من ألفاظ الطبيعة، والجانب الإنساني والعبارات ذات المجال السياسي والثوري والدّيني..

المبحث الثالث: البنية الخارجية للقصيدة –السياق غير اللّغوي-:

المطلبالأوّل: السياق العاطفي:EMOTIONAL CONTEXT

"وهو الذي يحّدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية التي تفيد العموم ودلالتها العاطفية التي تفيد الخصوص"[1]، "فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا"[2]

كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية، كأن تنطق وكأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا وبإسقاط هذا النمط على قصيدة فاشهدوا يمكننا الوقوف على الأمثلة الآتية:

أ- من ناحية استعمال الكلمة في دلالتها الموضوعية العامة ودلالتها العاطفية الخاصّة:

كلمة(**قسما)** مثلا شكلت فارقا كبيرا في هذه القصيدة حيث بدأ بها الشاعر في مطلع القصيدة، ولهذه الكلمة دلالتها الموضوعية فهي تستخدم لتعظيم القسم(والقسم بالله عادة) إلاّ أنّ الدلالة العاطفية غلبت في جعل الشاعر ينفعل ويستخدم هذه اللفظة في سياق عاطفي محض وهو تعظيم الثورة وتأثره بأحداثها.

أيضا كلمة(**يوم الحساب)**في قوله: يَا فِرَنْسَا إنَّ ذَا يَوْمُ الحِسَابْ ∴ فَاسْتَعدِي وخُذِي مِنَّا الجَوَابْ[3] التي استخدمت في سياق عاطفي يخرجها عن دلالتها الموضوعية حيث أن يوم الحساب لا يعلم موعده إلاّ الله تعالى، لكنّ الشاعر استخدم كناية عن يوم اندلاع ثورة نوفمبر المجيدة التي يحاسب فيها العدو على شرّ أعماله.

ب- من ناحية درجة القوة والضعف في الانفعال:

فالكلمات ذات الشحنة التعبيرية ترد حين يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدّة انفعال" فالمتكلم في هكذا حالة من الشعور الجامع، يغالي في استخدام كلمات ذات شحنة عاطفية كبيرة، ومعان مغالية لا يقصد معناها الحقيقي."[4]

كلمة (**صرخة الأوطان**) في قوله:

1- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط2،دمشق، 1999، ص297.
2- ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط2، القاهرة، 1988، ص70
3- مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص72.
4- ينظر: نسيم عون، الأنسية محاضرات في علم الدلاله، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2005، ص160

صَرْخَةُ الأَوْطَانِ مِنْ سَاحِ الفِدَا .·. اسْمَعُوهَا واسْتَجِيْبُوا لِلْنِدَا

وَاكْتُبُوهَا بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ .·.واقْرَؤُوهَا لِبَنِي الجِيْلِ غَدَا[1]

استعملت مجازا تحمل شحنة ذات درجة قوة عالية في الانفعال كحال الوطن الجزائر الذي لم يعد يتحمل الذّل، فهو يصرخ ويثور ضد عدّوه الغاشم.

أيضا عبارة**(أكتبوها بدماء الشهداء)** درجة انفعالية كبيرة، وليست مغالاة حيث أنّ الشاعر نفسه كتب هذه القصيدة بدمائه، وهي استعملت المجاز في التعبير عن التضحيات الجسمية من أجل نيل الحرّية.

ج-من ناحية طريقة الأداء الصوتي

" لها دور فعّال في شحن المفردات بكثير من المعاني العاطفية، كأن تنطق الكلمة وكأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا"[2] ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية.

المطلب الثاني: سياق الموقف: situationalContext

يدل هذا السياق –وهو محور بحثنا- على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، عبّر عنه القدماء بالمقام، ويرى الدكتور "تمام حسّان" أنّ " ما صاغه "مالينوفسكي" تحت عنوان Context of Situation سبقه إليه العرب الذين عرفوا هذا المفهوم قبله بألف سنة أو ما فوقها، لكن كتب هؤلاء لم تجد من الدّعاية العلمية "[3]

إنّ مراعاة المقام تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطق على الحالة التي يصادفها خوفا أو تأدبا، بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات فيلجأ إلى التلميح دون التصريح.

وإن ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبة ظرفية، يتطلب الباحث الإلمام بالمعطيات الاجتماعية التي يجري الكلام فيها.

مثلا نلاحظ في قصيدة فاشهدوا استخدام كلمة:

1- ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص297.
2- مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص72.
3- أنظر: تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 372

(دماء) وصفها بالزكية والطّاهرة، ناهيك عن معناها الطبيعي لأن الموقف (التضحية) يستدعي هذا الاستخدام.

أيضا كلمة **(أشلائنا)** تحمل دلالات قوية صناعة المجد على الأشلاء .

الموقف استدعى استخدام الشاعر للفظة الأشلاء(التي تحمل معنى آخر وهو أعضاء اللّحم المبعثرة) في التعبير أيضا عن التضحية للوصول إلى المجد.

المطلب الثالث: السياق التاريخي:

لا ريب أنّ الشعر الجزائري الثوري حمّال لوظائف إيحائية تصويرية جمالية، على غرار الوظيفة الإخبارية التي تقرر حقيقة تاريخية طالما ساهم الشعر في تدوينها، وتخليد مآثرها.ولعلّ السياق الذي لما فيه شعر الثورة الجزائرية سياق فريد من نوعه.لذلك كان من المنتظر أن يأتي وقعه متكيفا مع حرارة الثور، وراسما ظواهر لغوية تشّع من خلالها ملامح النبرة الثورية، وتجلّى أيضا في انعتاق الذّات الشاعرة ضمن إيقاعات جمهورية موائمة لسياق الشدّة.

وهذا السياق التاريخي هنا هو الذي يؤطر أجواء قصيدة **"مفدي زكريا"** وتعكس تجربته الشعرية القوّية فهي ضاربة في عمق تاريخ الجزائر الثوري إبّان الثورة التحريرية وأيام وجود الشاعر في غياب هي السّجن، فهذا السياق كان المهيمن والمشرف على كلّ السياقات الخارجية والداخلية لقصيدة فاشهدوا.

المطلب الرابع: السياق الثقافي:Cultural Context

" ينفرد هذا السياق بدور مستقل عن سياق الموقف أو (المقام) من خلال المعطيات الاجتماعية، لكن هذا لا ينفي دخول السياق الثقافي ضمن معطيات المقام عموما، ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي مجدد"[1]. كأمثلة عنه يمكن تحديدها فيما يلي:

أ- ظهور السياق الثقافي من ناحية استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد:

مثلا:للتعبير عن كلمة زوجة يختلف من متكلم وسياقه لآخر فالمثقف يقول: زوجة- حرم والرجل البسيط العادي يقول: امرأة .

1- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص299

فالسياق الثقافي له دور كبير في تحديد الدلالة المقصودة من الكلمة او المفردة التي تستخدم استخداما عاما.

وشاعرنا في هذا الصدد متشبع بثقافة لا نظير لها ذات بُعد ديني وثوري نابع من مستواه العلمي والثقافي، حيث استخدم في تعبيره ألفاظا وعبارات مناسبة لمواقفه الشعورية منها ما استخدم حقيقة ومنها مجازا، مثلا:**(في سبيل الحق)،(رنة البارود وزنا)، (كما يطوى الكتاب)،(نصعد خلدا).....**

ب- يحدد السياق الثقافي الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخداما عاما:

يتمثل ذلك في اختلاف دلالة الكلمة حسب مستخدمها، وهو ما يحدّده هذا النمط من السياق، على سبيل المثال في قصيدتنا:

كلمة**(الجواب)** في الوحدة الثالثة، الجواب تقابلها عدة دلالات، فهي مقابلة لكلمة سؤال في الحياة العادية، والجواب والقبول للخاطب طلب يدا الفتاة، والجواب هنا بمعنى الثورة والحرب ضدّ العدو الغاشم.

ج-ارتباط الكلمة بثقافة معينة لتكون علامة لانتماء عرقي أو ديني:

يتضح ذلك في القصيدة من خلال استعمال بعض الكلمات مثل:كلمة**(الحرب)** هنا ترتبط بثقافة الثورة والنهوض وتخرج عن معناها في الدّمار والفساد، فحرب الجزائر حرب شريفة ومشرفة للعرق والدّين مرتبطة بالتاريخ.

وكلمة**(فاشهدوا)** أيضا ذات بُعد ديني محض فالشهادة مرتبطة بديننا الحنيف(اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد) وتدل على ثقافة الشاعر المتأثر بالمرجعية الدّينية.

وكذا**(يوم الحساب)**و**(أعطيناك عهدا)** كلّها مستقاة من البيئة العرقية والدينة والاجتماعية لذات المتكلم **(مفدي زكريا).**

و في ختام هذه الدّراسة وكأيّ دراسة فإنّ الباحث تؤدّي به دراسته إلى إثبات أشياء ونفي غيرها، فقد شرعت للانطلاق في هذا الموضوع من تساؤلات عدّة مثلت محرّكا قويّا للبحث عن الإشكالية الرئيسيّة و المتمثلة في :

ما مدى تجلّي النظرية السياقيّة في القصيدة الشعريّة؟ وبأيّ منهج يمكن دراسة هذه النظرية وفق المقاربة اللسانية النصيّة ؟

ومن خلال البحث والتقصّي في موضوع السياق بأنواعه ولا سيما المقامي أو غير اللّغوي وبعد تطبيقه على النصّ الشعري كأنموذج، حاولت في الختام أن أسلّط الضوء على بعض الملاحظات والنتائج التي هداني إليها البحث في آخر المطاف، وهي على النحو الآتي:

- إنّ السياق هو الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنصّ من القرائن اللّفظية والحالية.
- أدرك العلماء الأوائل مفهوم تقسيم السياق إلى لغوي وغير لغوي وساروا على ذلك في تطبيقاتهم، وإن لم يفصّلوه تعريفا وتنظيرا(غياب مصطلحي)
- يلزم مراعاة الظروف المحيطة بالنصّ للتوجيه السليم للمعاني وللفهم الصحيح.
- تتكامل جميع العناصر غير اللّغوية من أجل توضيح مقاصد الخطاب.
- للسياق قدم بالغة في النحو والبلاغة لما يشكّله من نقلة في التوضيح والتفريق بين المعاني، ومعرفة مواقع الكلمات في التركيب حسب معانيها المتوخاة من خلال السياق الكلامي.
- المنهج السياقي أخذ مركزه اللّغوي وقالبة الخاص على يد مدرسة "فيرث FIRTH" الذي قعّد أصوله في علم اللّغة الاجتماعي.
- النظرية السياقية هي الأساس الفعلي للخروج من لسانيات الجملة إلى لسانيات النصّ الحديثة.
- مكوّنات السياق اللّغوي تتطابق تماما مع مستويات اللغة ومركّباتها الدّاخلية إضافة إلى المركّب الأسلوبي المتعلق بالتوالد الدّلالي في اللّغة الأدبية والشعريّة.

- كلّ لغات العالم هي أسلوب عمل حين يكون سياقها كذلك، أمّا حين يختلف السياق فتختلف الوظيفة.
- يختلف المقام عند البلاغيين عن سياق الموقف عند المحدثين، حيث اعتبروه قاعدة تحتمل الصحّة والخطأ وليس علما قائما من علوم اللّغة، عندهم المقام هو معيار جماليّ يحكم ببلاغة المقال.
- التماسك النصّي مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياقات المختلفة، سواء الدّاخليّة (المقالية) أو الخارجيّة (المقامية) تتضافر مع غيرها لتحقيق النصّيّة.
- حملت قصيدة "فاشهدوا" مختلف السياقات اللّغوية بعناصرها (الصّوتية والصّرفية والتركيبية والدّلالية)، وغيرها والتي أطّرها السياق التّاريخي بكلّ مقوّماته، إضافة إلى السياق الاجتماعي والعاطفي .
- جسّدت قصيدة "فاشهدوا" تجربة الشّاعر الشعرية الشعورية من خلال اشتغال مقتضى الحال اشتغاله (حال الأسر والتّعذيب والعمل الثوري والسياسي).
- كانت القصيدة تحصيل حاصل لكلّ ما مرّ بالشّاعر من ملابسات خارجيّة وداخليّة وجدانيّة، فكانت ذاته تعبّر عن الجزائر والجزائر هي ذاته.
- تتجلّى آليّات السياق في القصيدة انطلاقا من عناصر العملية التواصليّة من المرسل "مفدي زكريّا" إلى المرسل إليه الذي تعدّد حسب المقام إلى الرّسالة وهي الخطاب الشعري.
- تضمّنت القصيدة بنية صوتية قويّة تحمل دلالات إيحائيّة أقوى تخدم المقام الانفعالي لعناصر السياق.
- حملت تراكيب القصيدة النّحو خلفية مقامية محضة تجلّت في أنواع الجمل وفي التقديم والتّأخير و دوره في هذا البناء.
- كانت القصيدة حقلا خصبا للرّموز ولاسيما التّاريخية وكذا حملت الصور البيانية الموحية كالاستعارة والكناية.
- عبّرت مفردات البنية الصّرفية عن مظاهر الثورة في صيغها المتعدّدة من أسماء جامدة ومشتقة وأفعال مختلفة الأوزان والتّصاريف كلّها حسب المقام.

- تكثر الحقول المعجميّة الفنيّة في قصيدة "فاشهدوا" مكوّنة بعد التحليل والفحص معجما شعريّا للقصيدة يكوّن علاقات دلاليّة متماسكة يتحكّم فيها المقام الخاضعة له مستمدّة من عدّة جوانب إنسانيّة وسياسية و غيرها...
- تجلّى سياق المقام في قصيدة "فاشهدوا" بأنواعه ولاسيما المقام التّاريخي الحمّال للوظائف الإيحائيّة التصويريّة للثورة الجزائريّة.
- حضر السياق العاطفي في عدّة جوانب لفظيّة وانفعالية وفي طريقة الأداء الصوتي للقصيدة.
- ظهر السياق الثقافي يدلّ على تشبّع الشّاعر بالرّوح الدّينيّة الثوريّة المترجمة لمستواه العلمي والثّقافي الذي حدّد الدّلالة المقصودة للكلمة المرتبطة بتلك الثقافة.
    - وأخيرا يمكننا القول إنّ موضوعنا هذا لازال يحمل في طيّاته الكثير، ويفتح آفاقا للبحث المثمر، والذي يعود بالنّفع على المهتمّين بالخطاب الشعري وتحليله اللّساني النصّي، وما على الباحثين سوى الغوص في خضّم هذه الدّراسة من أجل اكتشاف المزيد حولها، للانطلاق في بحوث جادّة . ومن بين هذه الإشكاليات ارتأيت طرحالتساؤل:
- كيف يمكن إحياء التراث السياقي اللّساني العربي في ضوء المشكلة المصطلحية الحديثة؟

مكتبة البحث

مكتبة البحث

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

أ/ المصادر:

2- الأصفهاني الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3- الأنصاري ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محي الدين.

4- البخاري محمد ابن اسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، الجزء 2، دار ابن كثير، طبعة3، بيروت.

5- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار عالم الكتاب

6- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، جزء الأول، القاهرة.

7- الجرجاني عب القاهر،دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية، مكتبة سعيد الدين، طبعغة2، دمشق،1987.

8- الجرجاني علي بن محمد، التعريفات، دار الكتاب العربي، طبعة1، بيروت.

9- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، طبعة3، القاهرة.

10-ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، طبعة4، بغداد، 1990.

11- ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، جزء1، القاهرة.

12-ابن خلدون، المقدمة، تحقيق عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، طبعة1، 1990.

13-الزجاح أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، جزء 2، عالم الكتاب،طبعة1،1988.

14-الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جزء1، دار الفكر،بيروت،1996.

15-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، جزء1، دار المعرفة، مصر.
16-زكريا مفدي، اللهب المقدس، طبعة4، الجزائر،2000.
17-زكريا مفدي، اللهب المقدس، موفم للنشر، طبعة6،الجزائر،2006.
18-فاضل السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامهاندار الفكر، طبعة2، أردن.
19-السرخسي محمد ابن أحمد،أصول السرخسي، جزء1،دار الكتب العلمية،طبعة1، بيروت،1414ه.
20-السلجماسي أبو محمد الأنصاري، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، طبعة1،1401ه.
21-سيبويه، الكتاب، تحقيق محمد هارون، مكتبة الخانجي، طبعة3، القاهرة،1988.
22-السيوطي جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، جزء2، المكتبة العصرية، بيروت،1988.
23-الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، دار الحداثة، طبعة2،القاهرة، 1399ه.
24-أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي، دار إحياء العلوم، طبعة1، القاهرة.
25-الغزالي أبو حامد، المستصفى في الأصول، جزء1، المطبعة الأميرية بولاق، 1323ه.
26-ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، المكتبة التجارية، طبعة 4، مصر.
27-القيرواني ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، جزء1، طبعة 5.
28-المغربي ابن يعقوب، مواهب الفتاح، تحقيق خليل إبراهيم،جزء1، بيروت.
29-المنذري، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق إبراهيم شمس الدين،جزء2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
30-النسائي،سنن النسائي الكبرى، جزء2، دار الكتب العلمية، طبعة1،بيروت.

ب/المراجع:

31-أبو زهرة محمد، أصول الفقه، دار الفكر العربي، مصر.
32- أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، مصر.
33- أوغليسي يوسف، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، الجزائر،2000.
34- أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة.
35- آيت أوشان علي، السياق والنص الشعري، دار الثقافة،طبعة الأولى، المغرب،2000.
36- بالمر، علم الدلالة، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.
37- بشر كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف المصرية، 1996.
38- بليحيا الطّاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.
39- البناني عبد الرحمن، حاشية البناني في شرح الجلال المحلي علة متن الجوامع للسبكي، مطبعة مصطفى الحلبي،طبعة3،1356ه.
40- بناني محمد الصغير، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1983.
41- بوحوش رابح، البنية اللغوية لبردة البوصيري، الجزائر،1993.
42- جاد الرب محمود، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، 1985.
43- جلص محمود يوسف، البحث الدلالي عند الأصوليين، مكتبة عالم الكتاب، طبعة الأولن 1991.
44- عبد الجليل عبد القادر، علم اللسانيات الحديثة، دار الصفاء للنشر، طبعة1،2002.
45- عبد الجليل عبد القادر، الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية.
46- حسام الدين كريم زكي، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، طبعة3ن القاهرة،2001.
47- حسان تمام، الأصول، دار الثقافة، المغرب، 1411.

48- حسان تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، طبعة3، 1998.
49- حسنين صلاح الدين، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، طبعة1، القاهرة.
50- حيدر فريد عوض، فصول في الدلالة، مكتبة الآداب، طبعة1،القاهرة،2005.
51- خرما نايف، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، طبعة2، الكويت،1979.
52- خليل حلمي، العربية وعلة اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، مصر،19969.
53- الداية فايز، علم الدلالة العربي، دار الفكر، طبعة1، دمشق،1985.
54- الراجحي عبده، فقه اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط.
55- الزناد الأزهر، دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، طبعة1، بيروت، 1992.
56- الزنكي نجم الدين، نظرية السياق: دراسة أصولية، دار الكتب العلمية، طبعة1، بيروت، 2007.
57- السعران محمود،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي،د.ط.
58- دي سويسر فرديناند، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب،1985.
59- شاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، مجلد2، جامعة مانوبا،تونس،2001.
60- عثمان محمد الصغير، القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، طبعة1، 2002.
61- العكك خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار الكتاب العربي، بيروت،1986.
62- عوض يوسف نور، علم النص ونظرية الترجمة، دارالثقافة للنشر، طبعة1، مكة المكرمة،1410ه.
63- عون نسيم، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، دار الفارابي، طبعة1، بيروت.
64- الفقّي صبحي إبراهيم،علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، جزء1.

65- قدّور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، طبعة2، دمشق 1999.
66- الكندي علي محمد، القناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتاب الجديد، طبعة1، بيروت،2003.
67- عبد اللّطيف محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث،طبعة1،1994.
68- بن عبد الله بلقاسم، مفدي زكريا شاعر مجد الثورة(حوارات وذكريات) طبعة2، الجزائر،2003.
69- مارتيني أندريه، مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة أحمد الحمو، إشراف عبد الرحمن الحاج صالح، المطبعة الجديدة، دمشق،1975.
70- ابن مالك رشيد، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة،2000.
71- المتولي صبري، دراسات في علم الأصوات، زهراء الشرق، طبعة1، مصرن2006.
72- المراعي أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار إحياء التراث الإسلامي، طبعة1، 1992.
73- هلال ماهر مهدي، رؤى بلاغية في النقد و الأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، مصر،2006.
74- ويول براون، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض،1997.

ج/المعاجم:

75- بعلبكي رمزي منير، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم نطبعة1
76- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة،تح، عبد الغفور عطار،ج6، دار العلم للملايين،ط2،لبنان،1979م

77- الزمخشري،أساس البلاغة،دار بيروت للطباعة، بيروت،1404ه.
78- طبانة بدوي، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، طبعة3،السعودية.
79- ابن فارس، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون،ج5، مطبعة البابي الحلبي، ط2، مصر،1972.

80- فتحي ابراهيم، معجم المصطلحات الأدبيّة، المؤسّسة العربيّة للنّاشرين المتّحدين.

الفيروز آبادي، القاموس المحبط،ج3، مطبعة البابي الحلبي،ط2، مصر،1371ه

81- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسط،ج1، مكتبة الشروق الدولية،ط4،2004.
82- مطلوب أحمد، معجم المصطلحات البلاغيّة، الجزء3، المجمع العلمي العراقي، 1987.
83- ابن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، ط1، بيروت

84 - يعقوب إيميل بديع، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، مجلد1، طبعة1، بيروت،1991

د/ المراجع الأجنبيّة:

85/ Jon Du Bois et autres Dictionnaire de linguistique_ Paris 1989.

86/ Oxford, London , J.R.Firth :Papers in linguistics, Reprinted 1958, Amen House, University Press, 1961.

ه/ الرّسائل الجامعيّة:

87- براهمي حسناء ولحواو الطّاهر، دراسة أسلوبية لجوانب من النشيد الوطني(قسما)، مذكرة ليسونس في علوم اللغة جامعة مسيلة، 1004-2005.

88- جاب الله أسامة عبد العزيز، السياق في الدراسات البلاغية والأصولية: دراسة تحليلية، جامعة كفر الشيخ، مصر.

89- الشهراني سعيد، السياق القرآني وأثاره في تفسير المدرسة العقلية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،2006.

90- ردة الله بن ردة، دلالة السياق، رسالة دكتوراه في علم اللغة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مجلد الأول، 1418ه.

91- زعطوط حسين، توظيف سياق الحال ففي فهم المعنى عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة،2013.

ملاحق

قصيدة "فاشهدوا" لمفدي زكريّا

السيرة الذّاتيّة للشّاعر

فاشهدوا

قسماً بالنّازلات الماحقات والدّماء الزّاكيات الدّافقات

والبنود اللّامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشّاهقات

نحن ثرنا فحياةٌ أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

نحن جندٌ في سبيل الحقّ ثرنا وإلى استقلالنا بالحرب قمنا

لم يكن يصغى لنا لما نطقنا فاتخذنا رنّة البارود وزنا

وعزفنا نغمة الرشّاش لحنا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب وطويناه كما يطوى الكتاب

يا فرنسا إن ذا يوم الحساب فاستعدّي وخذي منّا الجواب

إنّ في ثورتنا فصل الخطاب وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

نحن من أبطالنا ندفع جندا وعلى أشلائنا نصنع مجدا

وعلى أرواحنا نصعد خلدا وعلى هاماتنا نرفع بندا

جبهة التحرير أعطيناك عهدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

صرخةُ الأوطان من ساح الفدا اسمعوها واستجيبوا للنّدا

واكتبوها بدماء الشهدا واقرأوها لبني الجيل غدا

قد مددنا لك يا مجدُ يدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا...

"مُفدي زكريّا" (ابن تومرت) شاعر الثورة الجزائرية

ديوان اللّهب المقدّس – تسابيح الخلود – ص72/71

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، طبعة 2006

السيرة الذاتية للشاعر:

1/ اسمه ونسبه:

اشتهر باسمه المعروف: مفدي زكريا، وبأسمائه المستعارة: الفتى الوطني ،أبو فراس الحمداني، ابن تومرت، غير أنّ اسمه الحقيقي هو: الشيخ زكريا بن سليمان، ولقّبه أحد زملاء البعثة الميزابية التعليمية بمفدي فأصبح يُعرف بمفدي زكريا[1]، ويقول بلحيّا الطاهر:"هو سليمان بن يحي بن الشيخ الحاج سليمان ولقبه آل الشيخ[2].ويقول نفدي زكريا عن أسرته:" وأسرتي تنحدر من بني رستم الذين أسّسوا تيهرت(تيارت) في القرن الثاني من الهجرة[3].

2/المولد والنشأة:

اختلفت المصادر في تحديد تاريخ مولده بين 1908 أو 1913، حيث ذكر بلحيا الطاهر أنّه ولد في جمادى الأولى 1326هـ الموافق لسنة 1908 وهو نفس التاريخ الذي يذكره الدكتور بلقاسم بن عبد اله حيث يقول:"وقد ولد يوم 12 جوان 1908 وليس 1913 كما تذكر بعض المصادر الموافق ليوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ ببلدية يزقن بمنطقة بني ميزاب، أو ما يعرف حاليا بولاية غرداية[4].

غير أن الدكتور بلقاسم بن عبد الله يسرد على لسان مفدي زكريا في حوار أجراه معه حيث يقول:" وُلدت في قرية بني يزقن بواحات الجنوب الجزائري، وقريتي هذه من قرى وادي ميزاب السّبع، وهي معروفة عند المؤرخين الأجانب"بالمدينة المقدسة" وذلك سنة 1913 فيما يقال-والدي كان- رحمه الله- تاجرا بمدينة عنابة، وجدّي الشيخ الحاج سليمان كان رئيسا للاتحاد الميزابي[5].

3/تعليمه:

1-بلقاسم بن عبد الله.مفدي زكريا شاعر مجد ثورة حوارات وذكريات، الطبعة الثانية، الجزائر، 2003، ص14

2-بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية للكتا، الجزائر، 1989، ص38

3-بلقاسم بن عبد الله، المرجع نفسه، ص23

4- بلقاسم بن عبد الله، المرجع نفسه، ص14

5 بلقاسم بن عبد الله-مفدي زكريا شاعر مجد وثورة- المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص154

أُدخل الكُتاب على عادة شباب عصره ليحفظ القرآن الكريم، ويتعلم مبادئ اللغة العربية، ويطّلع على بعض العلوم الإسلامية.وزاول دراسته الابتدائية والثانوية والعالية بحاضرة تونس، متنقلا بين مدرسة السلام، والمدرسة القرآنية الأهلية، ثمّ الجامع المعمور الزيتونة* ، والصادقيةوالخلدونية، ومعهد الآداب العليا بالعطّارين[1].

4-كفاحه:

يقول أحمد توفيق المدني:"...كان ملكا في صورة إنسان، ما عرفت رجلا مؤمنا كإيمانه فاضلا كفضله، متواضعا كتواضعه مجاهدا كجهاده، له وجه مشرق، تشرق عليه شمس القلب الطاهر، فتنيره بنور الجلال والوقار، وله نفس زكية تبثّ إشعاعا من الإيمان واليقين إلى كلّ أطرافه-فما رأيت- عضوا من أعضائه إلاّ رأيت فيه نوعا من تجلي الكمال المطلق، كان كلامه حكمة، وكان عمله جهاد، وكان مسعاه نفعا لأمة الإسلام....

لقد نشأ في بيئته تنشئة وطنية منذ نعومة أظافره، وتلقى مبادئها على الزعيم الثعالبي الذي كان لا يفارق بينهم، عمل في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وخلّد جهادها، ثمّ التحق بحركة استقلالية سرية تسمى"حزب نجم إفريقيا الشمالية"، وانخرط فيه بحماس مقتصرا على توزيع بعض المناشير وترويج جريدة"الأمة"

وفي سنة 1936 وضع على رأس اللجنة التنفيذية للنجم، والنجم معناه حزب الشعب وجريدة الشعب نفسها كانت تحت إشرافه ويقوم هو باختيار المادة التي تنشر بالجريدة.

ويلاحظ أنه منذ هذا التاريخ(1936) بدأت رحلته مع السجون الفرنسية:

- في 14 جويلية 1937 أدخل السّجن حيث بقي سجينا إلى تاريخ أوت1939.
- في سنة 1940اتهم بالمس بأمن الدولة الخارجي، وبقي مدة ستة أشهر .
- في سنة 1945 بعد الحوادث الدامية* وحملة الاعتقالات التي رافقتها ولم تدم إلا ثلاثة أشهر.
- سنة 1949 مكث في السجن مدة شهرين.
- سنة 1951 سُجن لمدة ستة أشهر.

---

* في سنة 1922 انتقل إلى الزيتونة بتونس ليكمل تعلمه حيث درس هناك لمدة أربع أعوام-بلحيا الطاهر-تأملات في إلياذة الجزائر، ص38.

1- بلقاسم بن عبد الله، مفدي زكريا شاعر مجّد ثورة حوارات وذكريات، ط2، الجزائر، 2013، ص23

* المقصود بها انتفاضة الثامن من ماي 1945.

- يوم 19 أبريل 1956 سُجن للمرة السادسة، ولم يُطلق سراحه إلاّ يوم 1 فيفري 1959

ويقول هو عن سجنه:".....ومن أعماق بربروس والحراش والبرواقية أرسلتُ ملامحي الثورية بالفصحى والشعبي، تتخطّى الآفاق، وتُوقع خطوات ثوارنا الأبرا، في أعالي جبالنا الماردة العملاقة،.....ونحن بالسجن أسسنا بإذن الجبهة شبه وزارة للتعليم والثقافة ....وقد تخرّج من هذه المدارس عديد من مناضلين .

5/أعماله:

كان مفدي زكريا مُكثرا يكتب بكل مناسبة تصادفه، وتراثه الأدبي ليس كله شعر، بل هناك كتابات نثرية.وفي مقابلة صحيفة أدلى شخصيا بهذه العناوين:

-تاريخ الصحافة الجزائرية .

- نحو مجتمع أفضل .

- أضواء على وادي ميزاب (دراسة)

-الثورة الكبرى (أوبرت)

- الجزائر بين الماضي والحاضر.

- الصراع بين الشعر الأصيل والدخيل

- اللهب المقدس

- من وحي الأطلس

- تحت ظلال الزيتون

- إلياذة الجزائر.

6/ وفاته:

توفي شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا يوم الأربعاء 17 أوت 1977 في تونس عن عمر يناهز 64 سنة*، وبعدها نُقل جثمانه إلى مسقط رأسه في بني يزقن ولاية غرداية.

* هذا إذا أخذنا بتاريخ الميلاد الذي يُقره الشاعر نفسه 1913.

فهرس

فهرس

فهرس المحتويات

كلمة شكر
الإهداء
مقدمة ..... أ

مدخل: مقتضى الحال في التراث

توطئة..... 5
أ/ تعريف مقتضى الحال لغة واصطلاحا..... 6
ب/ مقتضى الحال في التراث العربي والإسلامي..... 13
1- في عهد الرّسول صلى الله عليه وسلّم..... 13
2- مقتضى الحال عند المفسّرين..... 15
3- مقتضى الحال عند الأصوليّين..... 16
4- مقتضى الحال عند النّحاة..... 18
5- مقتضى الحال عند النقّاد والبلاغيّين..... 20

الفصل الأوّل: السّياق ونظرياته

توطئة..... 24
المبحث الأوّل: تعريف السياق لغة واصطلاحا..... 25
المطلب الأوّل: تعريفه لغة..... 25
المطلب الثّاني: اصطلاحا..... 27
المبحث الثّاني: أهميّة السياق..... 31
المطلب الأوّل: عند القدماء..... 31
المطلب الثّاني: عند المحدثين..... 32
المبحث الثالث: مستويات السياق وأنواعه..... 34
المطلب الأوّل: مستويات السياق..... 34
المطلب الثاني: أنواع السياق..... 35
1- السياق اللّغوي..... 36
2- السياق غير اللّغوي..... 38
المبحث الرّابع: سياق المقام في الدّرس الغربي وموازنته بالدّرس العربي..... 40
المطلب الأوّل: نشأته..... 40
المطلب الثاني: تطوّره..... 42

المطلب الثالث: في الدّرس العربي موازنة بالدّرس الغربي..... 43

الفصل التّطبيقي: تحليل قصيدة "فاشهدوا" لمفدي زكريّا

توطئة..... 46
المبحث الأوّل: عناصر السياق وآليّاته..... 47
المطلب الأوّل: عناصر السياق..... 47
المطلب الثاني: آليّات السياق في قصيدة "فاشهدوا"..... 48
المبحث الثّاني: السياق اللّغوي –تحليل لغوي لوحدات القصيدة-..... 51
المطلب الأوّل: البنية السطحيّة..... 51
المطلب الثّاني: البنية الصوتيّة..... 52
المطلب الثالث: البنية التركيبيّة..... 58
المطلب الرّابع: البنية الصرفية..... 65
المطلب الخامس: البنية المعجمية..... 67
المبحث الثالث: البنية الخارجيّة للقصيدة –السياق غير اللّغوي-..... 69
المطلب الأوّل: السياق العاطفي..... 69
المطلب الثاني: سياق الموقف..... 70
المطلب الثالث: السياق التاريخي..... 71
المطلب الرابع: السياق الثقافي..... 71

خاتمة..... 74

ملحق : قصيدة "فاشهدوا"..... 78
ملحق:السيرة الذاتيّة للشّاعر..... 80
مكتبة البحث..... 84
فهرس..... ...